كلية بيرزيت

كانون أول ١٩٧١ — الغدير — عدد خاص

في ذكرى موسى ناصر رئيس الكلية الراحل

الغدير

مجلة ثقافية تصدر عن

كلية بيرزيت

عدد خاص | كانون أول ١٩٧١ | السنة الحادية عشرة

هذا العدد

تصدر « الغدير » هذا العدد الخاص احياء لذكرى الفقيد الراحل موسى ناصر وتخليدا للمثل العليا والافكار السامية التى وقف حياته للدفاع عنها . لقد كانت « الغدير » تحظى بالعناية والاهتمام من الفقيد . فقد كان يبدي توجيهاته وملاحظاته للارتفاع بمستوى هذه الصحيفة وقبل وفاته بفترة قصيرة اقترح على هيئة التحرير اصدار ملحق ثقافي نصف سنوي يتضمن الابحاث الجادة والدراسة الهادفة لمشاكل المجتمع .

ويضم هذا العدد الخاص لمحة عن حياة الفقيد وكلمات الرثاء التى قالها أصدقاؤه ومحبوه . اما القسم الاخير من العدد فقد خصص لبعض المقالات والمحاضرات والخطابات الرسمية التى ألقاها الفقيد فى مناسبات مختلفة . وان كانت هذه المقالات أو الخطابات تظهرشيئا فهي تعكس المبادىء والمعتقدات التي كان يؤمن بها الفقيد ، كما تعكس أيضا اخلاصه المتفاني لقضية فلسطين التى كرس لها معظم جهده وفكره ووقته .

ان هيئة تحرير الغدير تتقدم الى ذوي الفقيد باقتراح متواضع لتخليد ذكرى موسى ناصر وذلك باطلاق اسمه على مكان بارز فى الكلية كقاعة أو مكتبة ، مع وضع لوحة تضم صورته والكلمة التى كان يرددها باستمرار للخريجين :

« اذكروا أبدا ان العين التى لا ترمش بل تظل محدقة في هدفها ولا تحيد عنه ، وان الفكر الثاقب الذى يخترق القشور وينفذ الى لب الامور، وان القلب الذى لا يرجف أمام الصعوبات والتهديدات وأن الاخلاق التي لا تنهزم أمام الشر والباطل ، وان الارادة الصلبة التى لا تنثني أمام الاغراء ، هذه جميعها هي العناصر التى تقود الى السعادة والنجاح . »

هيئة التحرير

كلمة الكلية

وهب موسى ناصر حياته في سبيل أمـــة أحبها وبلاد أفنى عمره في مناصرة قضيتها . وقد قدم خدمات متعددة في التربية والديـــن والسياسة . وكان فى كل هذه المجالات يستنـد الى أسمى المبادىء الاخلاقية وعلى قمتها القاعـدة الذهبية « افعلوا للاخرين ما تريدونهم أن يفعلوا بكم » . ولم يجد ما يحول دون تطبيق هـــذه المبادىء على الامور السياسية حتى انه كان فـــي اخر لحظات حياته يعمل على وضع مشروع لايجاد حل أخلاقي لمشكلة فلسطين .

أما كلية بير زيت فقد كانت الارض الطيبـة لتنمية الجيل الناشىء ولتطوير أبنائه حتـــى يصبحوا مواطنين صالحين يتحملون المسؤوليـة الملقاة على عاتقهم ويلتزمون بالعالم الذى يعيشون به . وقد كان بشخصه الكبير ومثله الانسانـــي مصدر وحي لابناء الكلية وهو يغرس فيهم روح التضحية والايثار وتفضيل المصلحة العامة عـــلى الخاصة ، وتقديس الصدق والامانة .

ولقد كان فكر موسى ناصر الخلاق الـــذى يمتاز بالاسلوب العلمي والموضوعي في سعـــي مستمر للتوصل الى الاهداف التى يصبو اليهـــا وكان فى معالجته لجميع الامور قد بلغ درجـــة كبيرة من الحكمة اذ أن الاتزان بين عقلـــــه وعاطفته وروحه كان دوما مبعثا للتقدير والاحترام. وهو الرجل الشجاع الذى لم يتردد يوما فـــى الدفاع عن مبادئه والرجل المتواضع الدمث الذى لم يخجل يوما من تقبل حقيقة ربما كانت مخالفة لارائه السابقة .

لقد قضى موسى ناصر نحبه بسلام غيـــر أن قلبه الكبير الذى كان يحمل أعباء شعبه ومآسي أمته توقف عن الخفقان والالم ما يزال يعتصره . تخليدا لذكرى هذا الرجل العظيم قررت كلية بير زيت انشاء صندوق للمنح الدراسية باســـم « صندوق موسى ناصر » لمساعدة الطلاب الذين يتحلون بالمثل العليا التي وضعها لهم الفقيد .

لمحة عن حياة الفقيد

في السكون الرهيب الذى يلي موت موسى ناصر تستعيد بير زيت ذكريات الابن الذى منحته الى هذا العالم ، ليبعث نور العلم والمعرفة وليغرس الفضائل فى أبناء أمته ... وتبكي بير زيت البلدة المتواضعة على جبال القدس المرتفعة ... تبكي ذلك الذى ، بكل دعة وصمت واصرار ، حملها بين أضلاعه وسار بها في كل انحاء البلاد مربيا ومجاهدا .

ولد موسى ناصر في ٤ نيسان سنة ١٨٩٥ فى قرية بير زيت وتنحدر عائلته من قبائل الغساسنة التي انتقلت من الكرك قبل ٥٠٠ عام .

نشأ موسى وشقيقاته الثمانية فى بيت مشبع بالعلم والتقوى والحرص على الشؤون العامة . فقد كان جده الإكبر موسى أبو ناصر شيخ مشايخ القضاء فى حينه وذلك لما اتصف به من ولع فى العلم ومن شجاعة اسطورية وله مخطوطات من تأليفه في تاريخ بير زيت وفي الطب العربي القديم . أما والده ، القس حنا ناصر ، فقد كان راعيا للكنيسة الانجيلية فى نابلس والسلط ورام الله وبير زيت وهو من أوائل خريجي كلية الشباب فى القدس فى ذلك الحين ، وكانت هذه الكلية ذات مستوى مرموق فى التعليم . اشتهر القس حنا بسيرته الصالحة وبتفانيه بمحبة وخدمة الاخرين . وكانت والدة موسى امرأة فاضلة ومقتدرة ، عملت معلمة قبل زواجها وبعده لعدة سنوات وظلت حتى اخر أيام حياتها تطالع في الكتاب المقدس . وكان عم موسى ، القس بطرس ناصر ، مناوئا لسياسة الانتداب البريطانية وكانت عظاته فى الامور الوطنية والسياسية من على منبر الكنيسة في يافا فى الثلاثينات من هذا القرن ، تملأ الكنيسة بالمصلين من مسيحيين ومسلمين . وكان القس بطرس بالاضافة الى ذلك رجل اقتصاد واسع الافق فقد أنشأ لكنيستي يافا ورام الله الانجيلية وقفا كبيرا أمن لهما كيانا اقتصاديا مستقلا .

كان لهذه البيئة الاثر الكبير على مستقبل موسى ، فمن الناحية الدينية كانت ثقافته واسعة فقد درس التوراة دراسة وافية مما مكنه في الايام المقبلة من دحض الادعاءات الدينية التي بنيت عليها الدعوى الصهيونية . ومن الناحية العلمية فقد حصل موسى واخواته على قسط وافر من التعليم كما أنهم نشأوا جميعا على الاهتمام بالشؤون العامة . ففى سنة ١٩٢٤ أسست الابنة الكبرى ـ نبيها ناصر ـ مدرسة ثانوية فى القرية الصغيرة بير زيت لتكون منهلا للعلم وصرحا للتربية الوطنية الصحيحة وكانت هذه المدرسة أولى المدارس الوطنية الاهلية للبنين والبنات فى فلسطين وكانت نبيها أيضا من دعاة تحرير المرأة اذ آمنت ايمانا راسخا بالدور الفعال الذى يمكن أن تقوم به المرأة الفلسطينية للرفع من شأن أمتها . وقد عملت في هذا المضمار مع هدى شعراوى .

أكمل موسى دراسته الثانوية فى مدرسة صهيون بالقدس عام ١٩١٠ ثم انتقل الى الجامعة

الامريكية فى بيروت حيث حصل على البكالوريوس فى الطبيعيات والرياضيات بامتياز عام ١٩١٤ وقد كان بالاضافة الى تفوقه بالدروس مبرزا في النشاطات الخارجية المتعددة كما انه انتخب رئيسا لمنظمة اتحاد الطلبة فى الجامعة ٠

بعد تخرجه مباشرة كانت الحرب العالمية الاولى قد ألقت أوزارها فجند موسى فى الجيش العثمانى وعمل فى مجالات اللاسلكي والهندسة والخدمات الطبية والمحاسبة ٠ وقد أمضى اخر سنتين من الحرب في استانبول حيث درس العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوقات فراغه فى مكتبة جامعة روبرت ٠

وبعد الحرب توظف موسى ناصر في الجهاز الادارى لحكومة الانتداب البريطانية وعمل قائمقاما ومساعدا للحاكم فى يافا والرملة والناصرة وصفد ونابلس ٠ وفي سنة ١٩٣٠ أثناء اقامته فى يافا تزوج من الانسة ليندا خوري وقد أصبحت زوجته فى السنوات المقبلة سندا كبيرا له في حياته العامة وعونا في ادارة شؤون كلية بيرزيت وقد رزقا فى السنوات الاولى من زواجهما أولادا ثلاثة هم ريما وسامية وحنا ، ويسير حنا الان فى درب والده فى حمل مشعل العلم فى الكلية ٠

وفى سنة ١٩٤٤ وصل موسى الى وظيفة مساعد للسكرتير العام فى مدينة القدس وبحكم وظيفته هذه ووظائفه السابقة أصبح مطلعا على حقيقة الاوضاع فى فلسطين وعلى السياسة البريطانية المدبرة لانشاء الوطن القومي اليهودى على حساب الشعب الفلسطيني ٠

وفى سنة ١٩٤٦ لم يتمكن من احتمال الاستمرار فى العمل مع حكومة الانتداب البريطانية فقدم استقالته احتجاجا على سياستها ٠

بعد ذلك أنشأ موسى معهدا للادارة والاقتصاد فى القدس وأولى ذلك المعهد وكلية بير زيت التى كان يدعمها بكل امكانياته المادية والمعنوية منذ تاسيسها ، كل عنايته ٠

وبحلول نكبة سنة ١٩٤٨ أغلق المعهد الادارى بالقدس نهائيا وانتقل موسى الى بير زيت حيث تولى شؤون الكلية مع اخته نبيها ٠ وقد أثرت أحداث سنة ١٩٤٨ على وضع الكلية المالي الى حد كبير ، غير ان نبيها التى كانت قد منحت ذلك المعهد كل ما تملكه من جهد ومال وعمر رفضت أن تستسلم للظروف بل ضاعفت نضالها بالاشتراك مع شقيقها وزوجته وشقيقاتها وبعض أفراد من العائلة ٠ ولكن التضحية الكبرى كانت فى انتظارها فقد تغلب عليها المرض ولبت نداء ربها في اذار سنة ١٩٥١ ٠

وفى هذه الاوقات العصيبة رأت الكلية أن الحاجة للتعليم الجامعى أصبحت ماسة فابتدأت تخطو نحو انشاء قسم جامعي صغير فيها وقد ساهمت مؤسسة فورد فى دعم الصف الجامعي الاول وفي اضافة صف اخر فى السنوات المقبلة وتبين للكلية فيما بعد أن دمج القسمين الابتدائي والثانوي بالقسم الجامعي أصبح متعذرا من الناحية الادارية فقررت اغلاق هذين القسمين على مراحل واقتصر التعليم فى الكلية منذ سنة ١٩٦٧ على القسم الجامعى المتوسط ٠

على أثر نكبة سنة ١٩٤٨ أصبح التزام موسى ناصر بقضية شعبه التزاما كليا ٠ وكرس كل قواه لخدمة أبناء بلده بكل الوسائل الممكنة ٠ففي سنة ١٩٤٩ عين وزيرا للاشغال والمواصلات

في حكومة الاردن ، ومن أهم ما أنجزه في هـذه الوزارة تحويل مطار القدس الحربي الصغير الى مطار مدني وقد كان لهذا العمل الاثر الكبير على حركة السياحة في القدس . وكانت شؤون اللاجئين عندئذ من اختصاصه اذ انه كان أول من عمل مباشرة مع تلك الفئة المنكوبة من ابناء وطنه الذين لجأوا الى المناطق غير المحتلة ، ففي الايام الاولى من النزوح كان ينظم الاحصائيات الشاملة ويقدم الدراسات والتقارير التي اصبحت أساسا لاعمال الاغاثة في بادىء الامر وتقديرا لجهوده في هذا المضمار قدم له الصليب الاحمر الدولي وسام برنادوت . وقد دعته الاحداث السياسية في تلك الفترة الى الايمان بان العمل الايجابي أكثر فعالية لمصلحة شعبه ولردع أخطار قد تنشب عن المواقف السلبية . ففي سنة ١٩٥١ عين وزيرا للمالية وكان في تلك الاثناء قد انتخب ممثلا عن منطقة رام الله والقضاء في مجلس الامة لفترتين متتاليتين غير انه بعد سنة ١٩٥٢ اعتزل العمل السياسي الى أن عرضت عليه في سنة ١٩٥٩وزارة الخارجية وتمثيل بلاده وعرض قضية اللاجئين في هيئة الامم المتحدة . فقد رأى في ذلك العرض فرصة العمر حتى يخاطب فيها ضمير العالم ويدافع عن الحق والعدالة اللذين طالما نادى بهما بدون جدوى . وقد مثل بلاده في المؤتمرات العربية المختلفة كوزير للخارجية وكان في تلك الايام يحاول باستمرار المحافظة على ما تبقى من علاقات طيبة بين البلدان العربية الشقيقة لايمانه الراسخ بأهمية الوحدة العربية وفعاليتها . غير أن آماله سرعان ما تلاشت اذ انه اكتشف ان الخلافات بين الانظمة العربية ذات جذور أعمق من أن تحلها الاجتماعات السياسية ، فاعتزل السياسة نهائيا وبذل كل ما تبقى من حياته لكلية بير زيت ولنشاطاته في المجالات التربوية والاجتماعية والكنسية المختلفة التي كان يعمل فيها .

وفي سنة ١٩٦٢ كان أوج نشاطه التربوي أن عين رئيسا للجنة الملكية للتعليم التي درست الانظمة التربوية في البلدان العربية والغربية دراسة وافية وشاملة والتي بحسب توصياتها أنشئت الجامعة الاردنية . ومن الجدير بالذكر ان موسى ناصر ، كرئيس للجنة ، انفرد ببعض التحفظات والاراء فاصدر تقريرا خاصا ضمنه توصياته ومن أهم ما جاء في هذا التقرير اصراره على أن تكون مدينة القدس مركزا للجامعة فقد كان يرى ان اهمية القدس في المجال العلمي لا يقل عن أهميتها في المجالات الدينية والسياسية والسياحية .

أما في المجال الكنسي فقد لعب موسى ناصر دورا هاما من أجل استقلال الكنيسة الاسقفية العربية عن السلطة الاجنبية . وكان من الذين ناضلوا من أجل ايجاد مركز مطران عربي للكنيسة الاسقفية العربية . وبعد أن تكللت تلك المساعي بالنجاح أخذ يعمل من أجل الاستقلال التام الذي كان يأمل أن يتم وهو على قيد الحياة .

في العقد الاخير من حياته وهو قابع في بلدته الصغيرة يرعى المعهد الكبير الذي انشأه ، كان دائم التفكير . وحياته الطويلة تنطوي في مخيلته باعمالها الواسعة وبايمانها الراسخ بقدرة الانسان على التغلب على مواطن الضعف في نفسه وعلى الظلم الذي يحيط به . غير أن

شعورا مثقلا بالعجز أخذ يتسرب الى روحه فـــي الايام الاخيرة من حياته ـ فالواقع مرير جـدا ـ واقع الانسان الذى آثر الانانية على العطـــاء والطمأنينة على اتخاذ المواقف الحازمة فـــي الازمات · الواقع العالمي مرير والواقع العربـــي مرير ·· وما تبقى من العمر قليل ·

ويحمل ما تبقى من عمر وفكر وأمل ليضعها على أقدام المبادىء الاخلاقية التى كان يؤمن بها ويشرع فى وضع « حل أخلاقي لقضية فلسطين » ويحلم باليوم الذى سيصبح فيه وطنه حرا كريما ولكنه يعلم انه لن يعيش ليرى ذلك اليوم ··· وهو بالرغم من الالم والمعاناة يبتسم ، فالابتسامة المشرقة قلما تفارق شفتيه اذ انه متفائل بمستقبل سيكون حتما ملكا لابناء وطنه ·

وفي صباح يوم الخميس في٢٦ آب سنة ١٩٧١ أسلم موسى ناصر الروح بعد أن وهب امتـــه كل ما عنده من محبة وأمل وجهد ·

من المناصب التي شغلها الفقيد

المناصب التي شغلها الفقيد حتى وفاته

رئيس كلية بير زيت
نائب رئيس مجمع الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية
عضو في اللجنة التنفيذية لجمعية الشبان المسيحية بالقدس
نائب رئيس الجمعية المسيحية الدولية بالقدس
رئيس نادي الروتاري في رام‌الله
عضو فخري في جمعية انعاش الأسرة / البيره

في حكومة المملكة الاردنية

وزير مواصلات
وزير مالية
وزير خارجية
رئيس البعثة الاردنية لهيئة الامم
عضو في مجلس النواب
عضو في مجلس الاعيان
عضو اللجنة العليا للمناهج
رئيس اللجنة الملكية لشؤون التربية والتعليم
رئيس وفد الاردن لمؤتمر الدراسات الاجتماعية بالقاهرة

في عهد الانتداب البريطاني

قائمقام
مساعد حاكم اللواء
سكرتير في حكومة الانتداب
عضو في جمعية التعليم العالي

الفقيد محاط بصور والديه وجده موسى ابو ناصر

الفقيد يتوسط افراد العائلة ـ ١٩٧٠

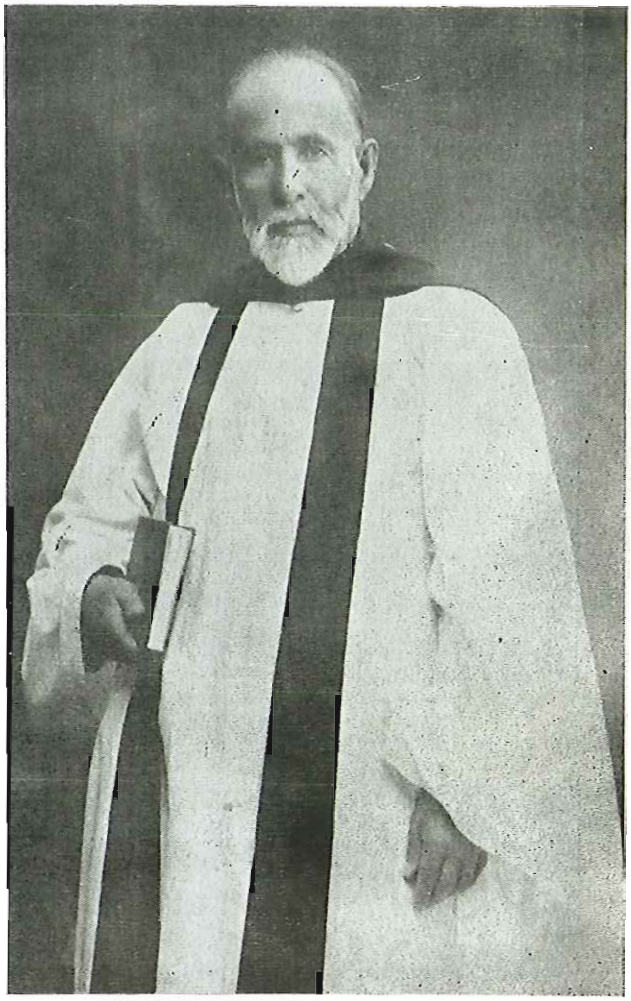

القس حنا ناصر
والد الفقيد

نبيهه ناصر
شقيقة الفقيد ومؤسسة كلية بير زيت

في رثاء الفقيد

كلمة رثاء — بقلم : المطران نجيب قبعين

كوكب يهوي — بقلم : القس رفيق فرح

إلى روح المغفور له موسى — بقلم : وديع ترزي

في ذمة الله : موسى ناصر — بقلم : يوسف حنا

كلمة رثاء

الكلمة التي ألقاها سيادة المطران نجيب قبعين في خدمة الجناز التي اقيمت في كنيسة الفادي الانجيلية بعبان عن روح المرحوم موسى ناصر

في هذه الساعة بالذات تجرى مراسيم جنازة النقيد الغالي المرحوم موسى حنا ناصر في بيرزيت وهي مناسبة تدعو الى الحزن والى الشكر معا · الى الحزن بالنسبة للخسارة الفادحة التي لا تعوض خسارة رجل ، والرجال قليلون ـ مثل المرحوم موسى ناصر وفي مثل هذا الظرف الذى نعيشه بالذات · كان موسى رجلا على جانب عظيم من بعد النظر وعمق التفكير والاتزان وما أحوج العالم الى هذه الصفات في الرجال والقادة في وقتنا الحاضر · كان موسى نائب رئيس المجمع الكنسي كما كان له قسط كبير في انشاء وتقدم مشاريع المجمع العديدة · وقد كان لي خير ناصح ومعين · الحياة نعمة والموت رحمة والحياة دين يدفع عند الوفاة وتقاس قيمة الحياة بنوعيتها وعمقها ونفع ثمرها واتساع دائرة خدمتها وعلى هذا الاساس استطيع القول أن حياة فقيدنا المحبوب كانت تعبيرا عمليا لعمق معنى المسؤولية والخدمة ·

كانت حياة موسى ناصر رسالة لها عمق ولها عرض ولها طول ، كانت رسالة حية · أنتم رسالتنا ، يقول الكتاب ، مقروءة ومعروفة من جميع الناس · رسالة موجهة تدعو الناس للرجوع الى سواء السبيل ، الى الحياة المثلى ، الى حياة التقوى والتقرب الى الله · وقد نادى فقيدنا بهذه الرسالة ونشرها عن طريق اهتمامه بتربية الجيل الجديد في المدرسة والكلية وجاءت هذه خدمة خالدة ·

كانت حياة موسى ناصر وكالة ترجمها بامانته على نشر الرسالة وبحرص على حفظ المبدأ نظيفا بعيدا عن الانانية وعن كل ما يلوث نقاوة الحياة وشرف الانسانية · اعتبر حياته وقفا على المجتمع وعلى بلده وعلى العالم فجاهد وبنى وربى وخدم وهذه كلية بير زيت وهؤلاء المئات من الشباب والشابات الذين نهلوا منها وفيها العلم الصحيح والخلق الحميد فجاؤوا ثروة لبلدهم ولمجتمعهم وأمتهم ، يعيشون لمبدأ وهدف ويعملون بنشاط وفكر سليم للوصول الى ما يصبون اليه وما يحتاجه مجتمعهم وكانت هذه وكالة أمينة وشريفة وعند اداء الحساب عنها ، سينال المكافأة السماوية · نعم أيها العبد الصالح والامين ···

كانت حياة موسى ناصر سفارة ترجمت عمق الرسالة وأمانة الوكالة بالعمل المتصل من أجل ايضاح معنى وعمق هذه الرسالة ومعنى وعمق هذه الوكالة بالنشاط الهادف المجرد والجدير بأن يحتذى به ، عاش سفيرا لربه وشعبه ·

ان خسارتنا بموسى أكثر منها بخسارة رجل · انه عاش لشعبه ومات لشعبه عاش انسانا ومات انسانا · وقد ترك لنا قدوة صالحة لخدمة هذا البلد وبناء حياة أبنائه على أرسخ الاسس التي تضمن له العزة والكرامة ·

للفقيد الرحمة ولنجله وذويه طول البقاء وتعزيات السماء ·

كوكب يهوي

عظة القس رفيق فرح راعي كنيستي رام الله وبير زيت في خدمة الجناز

« والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهور »
دانيال ١٢ : ٣

هذه آية وردت قديما في سفر دانيال النبي ، وكأنها كتبت لتردد فى مثل هذا اليوم ، الذى نشاهد فيه كوكبا يخبو ويختفي من بيننا ٠

يظهر في كل زمان ومكان ، وبين آونة وأخرى رجال أو نساء يسطعون كالكواكب في جيلهم ومجتمعهم ووطنهم ، يسطعون كالكواكب في حياة الايمان الذى يتحدى الصعاب ، ويشق طرقا جديدة سهلة أمام الاجيال البشرية ، يسطعون كالكواكب في حياة البر والتقوى والقداسة ، أو في مجالات العلم والمعرفة وسائر مجالات المهارات والاعمال ٠

وفقيدنا الغالي ، هو أحد هذه الكواكب التي أضاءت فى مجتمعنا وفي وطننا ، ردحا طويلا من الزمن ، ثم انتهى أجل هذه الكواكب ٠

ومن منا لا يحزن على اختفاء كوكب متلألىء سطع نوره في ليالي مجتمعنا المظلمة ٠

أحب أبو حنا المعرفة والعلم ، بل أحب نور الحقيقة فتبعها ٠ عندما كنت أتحدث اليه في أي موضوع كان ، كنت أشعر بتشوقه الشديد لاستكشاف نور الحقيقة يتأهب ليمسك بها ، ويمتلكها ويفرح بها ، ودفعه حبه لها بان خدمنا جميعا خدمة خالدة بأن أنشأ كلية بيرزيت حتى جعل من قرية بير زيت الوادعة ، اسما مشهورا ومعروفا ، اذا ما ذكرت معاهد العلم ومنائر المعرفة كان القلم في يده فى الدقائق الاخيرة من حياته رمزا لحبه للمعرفة والحق ٠

كذلك فقدنا بفقده ، كوكبا في سماء شعبنا ، فهو الذى عرف بمواقفه الوطنية الصريحة ، وهو الذى كان متمرسا في الادارة المدنية ، واعتلى المراكز الحساسة في هذه الادارة أيام الانتداب البريطاني ثم عين وزيرا للخارجية للمملكة الاردنية الهاشمية ، وفي كل هذه المناصب استعمل خبرته وذكاءه وعلمه ليفيد على نحو أوسع وأوفى ، فدرب الكثيرين فى فن الادارة والحكم ، وكان مثالا لهم في الاجتهاد والمواظبة والانضباط والحرص على التقيد بالقانون وحسن المعاملة ٠ واختفى هذا الكوكب من سماء طائفتنا الانجيلية الاسقفية ، ولكنه كان دوما حربا على الطائفية ، ولم يكن يؤمن بالديانة التقليدية وكان يقول أن الديانة التقليدية فى القرن العشرين لن تعمر طويلا ٠

وقد اختفى هذا الكوكب من سماء هذه القرية التى أحبها ، وأحبته ، فكان عميدها ورجلها الاول٠ وكان لهذه العائلة الكبيرة الممتازة مثال الزوج والاب والاخ والقريب ، ومن أعظم صفاته ، أنه تحلى بالتواضع والروح الانسانية العالية وان ذكرى أبو حنا هي فى خدمة مجالات حية وخالدة ، ان ذكراه وعمله هو في مئات الشبان

والشابات الذين تخرجوا ولا يزالون يتخرجون من هذا المعهد الزاهر ، انها في خدمته المخلصة لابناء شعبه وقريته وكنيسته وعائلته .

يهب الله للناس هذه الكواكب المضيئة ، ثم يأخذ نورها الى السماوات العليا ، يكسر هذا القالب الترابي ، لان في سمائه قوالب أفضل فيبقى هذا النور ممجدا لله تعالى الى الابد بعد أن سطع قليلا في سماء أرضنا .

انني بالنيابة عن غبطة رئيس الاساقفة وسيادة أسقف ورعاة وأعضاء الكنائس الانجيلية الاسقفية، أنقل اليكم أيها الاخوة والاخوات زوجة وأولاد وأخوات واقرباء الفقيد تعازينا القلبية ، فحزنكم حزننا ، ولكن لنا رجاء قيامة الاموات وبهذا الايمان ننتصر على الموت .

« والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهور » . آمين .

« اجد في ماضينا ما يحق ان نعتز به ونفتخر ، وما يجب ان يحفزنا بحماس شديد الى تحقيق اسمى الاعمال وأعظمها . فان كان غيرنا قد سبقنا الى التحليق الجسدي الفضاء ، فنحن قد سبقنا غيرنا في التحليق الروحي نحو السماء . »

موسى ناصر

« ان كان هناك ما يجب ان يثير فينا الخجل والشعور بالنقص ، فهو اننا اهملنا المباديء السامية التي كشفها لنا قبل مئات عديدة من السنين ، اولئك الذين سبقونا من شعبنا ومن اهل وطننا ، واتبعنا بدلاً منها الآراء الدخيلة التي قذفنا بها اصحاب المطامع الشخصية ، واولئك الذين يتوقون الى السيطرة على الآخرين . »

موسى ناصر

« ان المجتمع الانساني بأسره لا يمكن ان يتخلص من آفاته وويلاته الاجتماعية ما لم يهتم على شؤون جميع الدول ، خصوصاً العظمى منها ، قادة مثقفون ، حائزون على كمية من عنصر الاخلاق تتناسب مع مسؤولياتهم الكبيرة ومع مركزهم القيادي . »

موسى ناصر

إلى روح أخي موسى

بقلم : الاستاذ وديع ترزي مدير كلية بير زيت سابقاً ومدير كلية غزة حالياً

يا أبا حنا (يا صديقي) يا صديق العمر ، ها أنا أقف على قبرك أؤبنك وأبكيك . وما كنت أتوقع أن يكون رحيلك بهذه السرعة المذهلة . فكم كنا نرجو أن يمهلك القدر بعد الى حين ، فنحن في هذه البلاد بحاجة الى الرجال أمثالك ، وقليلون من الرجال هم أمثالك !

ربما يقال .. ها هو كهل يمضي ، ولكنك لست كأي كهل يجب أن يمضي على عجل لا شك انك حملت على كاهلك سنين ، ولكن السنين الطويلة لم تمس روحك ، بل بقيت روحك شابة قوية وثابة ، وبقيت تعمل وتبني وتنتج ، وكان الكهولة لا شأن لها بك ، بل الشباب ونشاط الشباب هما من شانك .

يا أخي ، عرفت في حياتي رجالا كثيرين ، مر علي الكثير من الوان الناس واصنافهم ولكن القليل القليل الذى ترك أثره فى نفسى ، كما تركت أنت . فقد كنت فعلا شخصية فذة تسمو بمن يلقاك الى عالم الفكر الواضح والحكمة الصائبة والخبرة النضجة .

يا أبا حنا ، عرفك الناس رجل ادارة ، تسنمت أعلى المراتب ، وفى كل حالة كسبت ثقة الناس ومحبتهم وتقديرهم .. كانوا يلجأون اليك في حل مشاكلهم ، فكانوا يجدون عندك الحل الشافي لما كنت تتمتع به من صدق في النوايا ونفاذ في البصيرة ووضوح في الرؤيا واخلاص فى التنفيذ . عملت قائمقاما وعملت وزيرا فقدمت لمواطنيك ولبلادك خدمات لا تنسى .

وماذا أقول عن عملك في حقل التعليم ، وهاكلية بير زيت ملء السمع والبصر ، لا فى بلادنا العربية فحسب بل وفي العالم كله . أنشأتها مدرسة ثانوية للبنات والبنين يوم كان يعز التعليم الثانوى ـ على أبنائنا وبناتنا .. يوم كان الانتداب يضع العراقيل في سبيل التوسع بالتعليم الثانوي ، فكان الطلاب يلجأون الى مدرستك فى بير زيت يؤمونها من جميع نواحي فلسطين والاردن ، ينهلون العلم ويتشربون أسمى ما عرف من تربية وأخلاق ـ ومضيت تتقدم بها ـ واعيا لحاجة مواطنيك وبلادك ـ حتى أصبحت جامعة يلتحق بها الطلاب في الصفوف الادبية والعلمية ، السنتين الاولى والثانية الجامعيتين ، فكانت المنفذ الى التعليم الجامعي الكامل للمئات من الدارسين الذين لولاها ولولاك لقعد بهم الحظ عند نهاية التعليم الثانوي ، ولقد وصلت بها الى مستوى راق فى العلم والتربية ، مما تقدره حق قدره الاوساط العلمية الراقية وتعترف به الجامعات الكبرى .. فجزاك الله خيرا يا ابا حنا بقدر ما خففت عن كاهل الاهلين والطلاب أنفسهم بالنسبة الى مواصلة التعليم الجامعى من جميع النواحى .

وها أنت اليوم تمضى الى جوار ربك راضيا مرضيا ، يرحمك الله ويحسن اليك .. فقد أعطيت للحياة أكثر مما أخذت منها ، فنم قرير العين مطمئن البال .. أسكنك الله فسيح جناته ، والهم آلك وأصدقاءك جميل الصبر والعزاء ، وانا لله وانا اليه راجعون ..

في ذمة الله : موسى ناصر

بقلم : يوسف حنا

(الكلمة التي نشرت في جريدة الدستور في ٢٧ آب ١٩٧١)

عزيز علي ، وعزيز على صدقان موسى ، ومقدري مواهبه ، وهم كثر ، أن يرسل علينا نعيه ، عبر الاثير ، مقيما فى احدى الضفتين الشقيقتين : ولكن المزار بعيد ٠

وقد التحق موسى بحكومة الانتداب في عام ١٩٢١ ، وكان من القلائل ، بين شبان فلسطين الذين يحملون شهادات جامعية في ذلك الزمن البعيد ، الا انه تميز عنهم بأنه سجل في جامعة بيروت الامريكية رقما قياسيا في الرياضيات ، لم يناله طالب اخر فى الجامعة الا بعد سنوات عديدة ٠

واتجاه موسى الى العلوم الرياضية منذ طراوة الصبا ، ولين أهابه ، ثم تفوقه الملحوظ فيها ، يفسر لنا هذا الاتزان ، والتساوق اللذين عرف بهما موسى ، فى مختلف شؤون حياته الخاصة ، والعامة معا ٠

ولم يلتحق موسى بحكومة الانتداب على فلسطين ، ليدرج اسمه فى سجل كبار الموظفين ٠٠ وانما كان التحاقه بها ليساهم في اعادة بناء وطنه وليجاهد مع المجاهدين من أبناء فلسطين ، ليلوي على المنتدبين مقاصدهم السوء ، فى عمليات تهويد البلاد ٠

وقضى موسى حياته كلها جادا اخلص الجد ، فى العمل من أجل فلسطين ، سواء كان ذلك فى سنوات عمله فى حكومة الانتداب ، أو في جهاده التربوي ، أو في شغله أعلى مناصب الدولة في عهد وحدة الضفتين ، ووقف موسى على ذلك ، كل ما حباه الله من مواهب ومن خلق عظيم ، ونزل الى القبر مطمئن القلب ، الا انه مات راضيا مرضيا ، فلقد جاهد ما وسعه الجهاد الصادق ، وفوق ما وسعه الجهد الانساني ٠

وكان موسى طوال سنوات عمله فى حكومة الانتداب ، موضع ثقة ، واعتماد الهيئات الوطنية، كما كان موضع احترام ، وتقدير المنتدبين ، بحكم ما خصه به الله : من نظافة يد ، ونقاء ضمير ، وتجرد من الاهواء واتزان تفكير ، وجرأة في الحق وفى انتمرد على الباطل ٠

أما موسى فى عهد وحدة الضفتين ، فقد تجلت سجاياه الخلقية ، ونظافة يده ، ونقاء ضميره ، حين أؤتمن على أموال الدولة ، كما تجلت مواهبه السياسية ، حين عهد اليه بالقيام على وزارة الخارجية ٠

وكثيرا ما كنت أجتمع بالفقيد الغالي ، في الارض المحتلة ، وأشاهد مبلغ ما طحطحت النكبة من قلبه ، وما تحيفت من قوته ، ونشاطه ، ومع ذلك فلقد كان يعمل ليل نهار ليخفف من أتعاب ومشقات أبناء وطنه ، وقد علت وجهه هالة من سكينة النفس ، لا يعرفها الا المؤمنون الصحيحو الايمان ، فكنت أحسده على ذلك ، وأقول له : لقد فقدت انا ايماني منذ كفرت

بحضارة العصر الهمجي الذى نعيشه ٠

وأنا منذ جاوزت السبعين ، قد اعتـدت أن أرثي نفسي ، فيما اكتب فى رثاء صدقاني ورفاق دربي ، وأحسب اني أوفيت على الغاية فى هـذا الشأن عندما رثيت صديقي ، وأخي عباس العقاد عام ١٩٦٣ ٠

ولكن ٠٠٠ لقد تغير الحال غير الحال بعـد نكبة عام ١٩٦٧ ٠ انا اليوم لا أرثي نفسي ، وانا ارثي احبائي ، وصدقاني من العرب ، وبخاصـة عرب فلسطين ٠

ماذا اقول ؟ أنا أشعر ، وقد هممت اقبض على الثمانين ، اني أقوى مني ، وأنا فـي الاربعين ، لاني أشعر بواجب يحفزني الى الاحتفاظ بقوتي لانتقم للعرب ، وبخاصة لعرب فلسطين ، من نكبتهم التى رمتهم بها حضارة الغرب ٠

ان العربي وبخاصة العربي الفلسطينـي ، يموت ـ بعد نكبة عام ١٩٦٧ ـ ميتتين ، ميتـة ربانية ، وهذه قدر محتوم ٠ وميتة أخـرى سببها نكبة عام ١٩٦٧ ، وهي من صنع حضارة الغرب ٠

وحذار ان يزعم هيث ، أو نيكسون أن حضارة الغرب هي التي أعطت العالم : ميثاق الإتلانتـي وهيئة الامم ٠

لقد كان ـ هـ٠ج٠ ويلز ـ هو اول من نادى بمبادىء ميثاق الاتلانتي وبقيام هيئة الامم ، فى القرن الحاضر فلما أعلن روزفلت ، وتشرشل ، ميثاق الاتلانتي عام ١٩٤٢ ، وقامت الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ، حولت نيويورك الامم لمتحدة الـى أداة : لتنظيم الظلم ، وتقنين العدوان ، ولحماية المعتدين على الامنين فى ديارهم

وفى ذمة الله يا موسى ، لقد عشت لبلدك ، ومت في سبيله ، وحسبك انك عشت ومت باسم وفى سبيل وطن غالى في انجابك ، وأغليت أنت فى تضحياتك من أجلـه ٠

« ان سبيلنا الوحيد ، بعد الاتكال عـلى الله ، وبعـد العمل الانشائي المستمر هو الوحدة : وحـدة القلوب ووحدة الاهداف ، تكللها الوحدة السياسية . وهذه لا تتم إلا اذا تحلت الامـة ، كل فرد منها ، بالاخلاق المتينة ، الاخلاق التي تجعل كـل منا يسعى لخدمـة الآخرين ، الاخلاق التي تقدس المصلحة العامـة وتجعل المصلحة الفردية خاضعة لها . »

موسى ناصر

آخر خطاب ألقاه الفقيد لخريجي الكلية في حزيران سنة ١٩٧١

الفقيد يوجه كلمته لخريجي كليـة بير زيت سنة ١٩٦٥

كلية بيرزيت تبكي فقيدها

كلمة الموظفين والمدرسين	نافع عبد الله
دمعة طالبة	رائدة ترزي
موسى ناصر الانسان	فتحية نصرو
في ذكرى الفقيد	شكيب عتقي

كلمة الموظفين والمدرسين

بقلم : الاستاذ نافع عبد الله ـ مدرس الادب العربي

يعتصر الحزن والاسى قلوبنا جميعا ، لاننا فقدنا مربيا جليلا ورجلا مفضالا عزيزا على الوطن بأسره ·

فجعنا الدهر بك يا نصير العلم والادب والمعرفة · لقد ذهلنا بفقدك ، وعز علينا غيابك · فالافئدة مكلومة والنفوس حزينة والالسنة مربوطة يا فقيد العلم ·

اننا ـ أساتذة وموظفين في هذه الكلية ـ عرفنا فيك صفات حميدة جمة أقف عند عدد منها لمسته ولمسه بقية زملائي ·

تحليت بالبساطة والتواضع كلاما ومعاملة · تجملت بالصدق ، وحرصت الحرص كله على التمسك به لان الصدق رأس الفضائل ·

علمتنا كيف نتحمل المسؤولية فى نطاق العمل تجاه طلابنا ومجتمعنا ، وكيف نلبي نداء الواجب والضمير ·

ونذكر لك دائما جملة كانت ترد الى مسامعنا ـ اتخذتها شعارا لك في كل حين ـ : (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)

هذه الجملة وصفتها أنها هي القاعدة الذهبية في الاخلاق ، وهي خلاصة الفضائل ·

أجل : عرفنا فيك رجل البحث والعلم والادب لقد عشت حياتك تتطلع الى حب المعرفة ونصرة العلم ، وأسهمت في مجالات التربية والتعليم · اذ كنت رئيسا أمينا لهذه الكلية ، وعملت على تطويرها لتكون كلية جامعية تقوم بواجبها تجاه الوطن ·

لقد كنت عضوا فعالا مخلصا في مجلس التعليم العالي حتى أصبحت رئيسا للجنة الملكية لشؤون التربية والتعليم التي طافت في أقاليم الوطن العربي وكثير من الدول الاوروبية لتطلع على مناهج التعليم الحديثة وانظمة الجامعات الراقية · هذه اللجنة التى انبثقت عنها فكرة تاسيس الجامعة الاردنية عام ١٩٦٢م ·

وانا لنذكر لك جهودك المشكورة في التاليف والدرس الموضوعي والبحث الهادف للوصول الى حل أخلاقي سليم لمشكلات المجتمع العربي وبخاصة مشكلات الشباب في الوقت الحاضر على ضوء المعرفة والخبرة ·

رحمك الله رحمة واسعة يا نصير العلم ، وألهم الله أهلك وذويك الصبر والسلوان ·

« الشخص الذي لا يستطيع بحث الامور باسلوب منطقي ، وبهدوء ورزانة ، لا يسمى مثقفاً ـ حتى ولو كان عالماً . »

موسى ناصر

دمعة طالبة

بقلم : رائدة ترزي

الصف الجامعي الثاني ـ كلية بير زيت

لم يخطر بخلدي أن يصدر هذا العدد من الغدير وقد توارى من كان بيننا ملء السمع والبصر ، نعم توارى نجم هذه الكلية ومؤسسها المرحوم موسى ناصر بسرعة مذهلة فوجمت النفوس وجف الدمع بهذا المصاب الجلل

انا لا ابكيك يا فقيدنا فالموت حق وانما ابكي مآثرك على المجتمع الذى قلما يجود برجل مثلك والرجال قليل . فقد كنت بارا بامتك خدمتها بكل ما وهبك الله ، خدمتها في جميع المجالات بالادارة والسياسة وكفى هذا البناء الشامخ وهذه الكلية التي لها الفضل في تخريج أفواج وأفواج من أبناء الوطن الذين ينتشرون في أنحاء العالم . كفاك فخرا ما غرست فيهم من نكران الذات وخدمة المجتمع دونما ضجيج أو مباهاة . لن أنساك وها اني أتخيلك وأنت تتجول في اروقة الكلية متفقدا وموجها ومرشدا . فنم قرير العين وجزاك الله بقدر ما قدمت لامتك ولنا في خلفك الدكتور حنا وقرينتك الفاضلة خير عزاء ، وليساعدهما الله على تكملة رسالتك.

رحمك الله وأسكنك فسيح جناته وألهمنا وذويك جميل الصبر والسلوان .

موسى ناصر الانسان

بقلم : فتحية نصرو

مدرسة علم النفس في كلية بير زيت

عبر تاريخ الرجال في حضارات العالم يمتد لمع فكر وبطولات معارك وتضحيات معرفة . وقلما تمر ومضات انسانية متكاملة تجعل من انسان واحد انسانا متكاملا أقل ما يقال فيه « متعدد في واحد » كل ما فيه يضيء الطريق لكل من يريد أن يعرف معنى قيمة الوجود ومعنى البحث عن الحقيقة والمعرفة من أجل الوصول الى غاية الغايات «الانسانية» .

قدر لي أن أتعرف على الانسان ، الانسان المتعدد في واحد متكامل ، على فقيد العلم والموضوعية والصدق والاخلاص والتفاني في خدمة كل ما يرفع من شأن الانسان ويعلو بقدرات الجيل الناهض . هذا الانسان هو من دلت عليه أعماله قبل أقواله وشهد على وجوده انتاجه الخارق في طلابه المنتشرين في معظم مراكز الفكر الحساسة في العالم العربي ، شهد هذا الانتاج على وجوده قبل أن يشهد أي مظهر لدعوات تضحية أو أوسمة دول ... لم يكره في حياته شيئا أكثر من المظاهر الجوفاء وبريق الكلمات الخاطفة ... وبالرغم من حصوله على العديد من الاوسمة الدولية والعلمية فان اعلى وسام خالد حمله الفقيد هو وسام العلم الذى عمقه بأذهان خلفه من أبنائه وطلابه وكل من جاد عليه القدر بتبادل الاحاديث معه ..

أبرز ما في شخصيته التواضع .. تعرفت على الانسان المتواضع في مشاركته ايانا على مائدة الطعام في غرفة طعام المعلمين .. فعرفت فيه الابوة الحنونة الحقة .. كان يعطينا مع كل وجبة غداء وجبة فكرية أخلاقية من تجاربه الكبيرة والعميقة في مجالات الحياة بجوانبها المختلفة تجاربه منهل علم تعطى بكل صدق وبدون تكلف أو تبجح .. وبكل ما للديمقراطية الفكرية من معنى وكل ما تحمل الموضوعية والصفاء الفكري من جو هو من صدق تجربة كان لنا انس اللقاء مع الانسان المتواضع .. الانسان المعلم

عرفت فيه النظام والدقة في المواضيع .. لم يقعده كبر السن عن موعد اداري أو عمل يومي بشرى .. يلتزم بأوقات الكلية التزاما يعجز عنه الشباب مهما كان الوقت مبكرا لحضور وجبات الافطار مع المعلمين في القسم الداخلي في الكلية ... أو مهما كان وقت الاجتماعات غير مناسب للصحة الجسمية في سنه ..

في اجتماعات الواحدة والنصف بعد الظهر تراه يحضر الاجتماع دون تذمر ودون ادعاء بأنه خسر وقت راحته .. كل همه أن يسير البرنامج بدقة ونظام لانه يعشق النظام ... لم يتأخر عن أي موعد يعطيه لاصغر طالب أو حتى لاقل فراش في الكلية ... دائما تراه مبتسما يطمئن من حوله ويحل المشكلة بكل سهولة وترو والتزام بكل ما يقترح من حلول .

فقدنا انسانا باحثا يحدد فكره باستمرار ، ينير جلسة المعلمين في الكلية بروحه الصافية

وفكره المتطور وتراه دائما يتعلم وهو يعلم . ما اختلفنا على حقيقة تاريخية أو دينية الا وكان الحكم الفاصل بيننا جهود البحث العلمي للفقيد. وبكل تواضع وبكل نشاط يصعد السلالم لمكتبه ليحضر المرجع بنفسه أو نذهب معه ليطلعنا على مصدر قيم ينهي النقاش بمعرفة جديدة لدينا كان قد اطلع عليها ... ودونما أي تفاخر بما وصل اليه وبكل تواضع العالم يقول ... «عندك وجهة نظر» .

معالم الفكر الديني قوية واضحة موضوعية في أحاديثه .. تسمعه يفسر الاحاديث النبوية والايات القرآنية الكريمة ويتحدث عن الجهاد فى الاسلام وعن روح الاسلام فتحسبه مسلما . يناقش مفاهيم الاسلام بكل احترام وتقديس وكثيرا ما يلفت نظرنا نحن الاساتذة المسلمين فى الكلية الى أبرز نقاط القوة في الشريعة الاسلامية . وأذكر آخر ما قرأه في الاسلام باحثا عن معنى العدل والجهاد في الاسلام « كتاب المفصل فى القرآن الكريم » كنت قد استعرته بناء على طلبه من الانسة يسرى صلاح من نابلس . بقي عنده الكتاب حوالي سنة وهو يقرأ ويتمعن حتى رد على أحد المقالات الخاصة بمفهوم الجهاد وبمعرفة العالم تناول الموضوع فأجاد الدفاع عن هذا المفهوم وبين تعاليم الاسلام الانسانية لكل من يدعي أن الاسلام دين القتل وسفك الدماء .

وفى المسيحية يتحدث بروح العقل الحديث ويبين مزايا الاصل في الديانة السماوية والخلط فى تعاليمها الدخيلة وينتقد بأصالة العالم دون حرج . ويبين معنى الديانة اليهودية وكيف انها دين التوحيد الاول وينتقد النعرة القائلة بشعب الله المختار وكيف أثرت هذه النعرة على روح الدين الاصلية ثم يعطي القصص الواردة في التوراة الحديث وكيف انها تشوه صورة الدين الحقيقي في وصف الانبياء من خلال الزواج بالعديد من النساء . كل هذا بكل هدوء وبعمق وترو واهم ما كان يحاول التوصل اليه مدى الحقائق التاريخية في القصص الدينية وذلك بالرجوع الى مصادر من عيون الكتب المرجعية .

أما معالم التربية فى شخصيته فله فيها نظرات حديثة وكمدرسة للتربية وعلم النفس في الكلية كنت أحظى بالكثير من وقته في مناقشة نظراته .. فأجد فيها الكثير من المفاهيم التربوية الحديثة والتى ندرسها في المحاضرات الجامعية .. توصل اليه عن طريق البحث العلمي والتجربة العملية .. رايه فى المعلم الناجح واضح المعالم دقيق وحديث .. يقول « ان المعلم الناجح هو الانسان الذى يعتبر نفسه يتعلم ويستمر فى طلب العلم ويخلص في اعطاء المعرفة ويضحي من أجل تغيير سلوك الطالب الى الافضل ... والافضل فى نظره هو ما يستطيع به المتعلم أن يصل الى مرحلة تحقيق قدراته الفكرية والعملية الى المستوى الذى يجعل منه مواطنا صالحا ينظر للمصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة » . وأخر مناقشة لي معه في غرفة المعلمين .. قال « المهم أن يحقق الامتحان تقييم عملية تعليم وتربية الطالب بشكل يضمن للمسؤولين عملية توجيه المتعلم الى مجال الاختصاص الذى يستطيع أن ينتج فيه الى أقصى درجة ممكنة . وهذا النوع من الامتحانات يجب أن يكون امتحان مفاهيم لا امتحان حفظ وتذكر .. على أن يكون للامتحان أقل ما يمكن من التوتر النفسي الذى يصاحب

رهبة القاعة وعملية الامتحان ٠ »

أما رأيه في التعليم الجامعي فهو : ان الجامعة تقوم بدور اعداد طليعة المجتمع ولهذا فيجب أن لا تنزل الجامعات عن مستواها تحت ضغط الاعداد الهائلة المتقدمة للدراسة الجامعية ٠٠ فتضطر باستيعابهم أن تعدل المناهج ومستوى التدريس حتى تصل الى مستوى العاديين من الطلبة وتكون بالتالي ابتعدت عن الهدف الذى انشيئت من أجله وتصبح امتدادا بل نسخة للتعليم الثانوي فتخرج أعدادا من حملة الشهادات دون علم يتناسب مع ألقاب هذه الشهادات ٠

« فقيدنا الانسان القائد عاش في بلدي سيدا ومات سيدا ٠ مواقفه جميعا مشرفة وعلى جميع المستويات قوميا وفكريا ودينيا وأخلاقيا ٠٠ لم تغره المناصب ، حبذ القرية الصغيرة وبيت العلم الضيق في بيته المتواضع على كل القصور ٠٠ وعاش بغرفته المتواضعة في أثاثها والتي لا تزيد عن غرفة أبنسط موظف على أن يعيش في رياش المظاهر البراقة ٠٠ فضل شراء الكتب لتنمية المكتبه وتعليم الطالب الفقير على كل مظهر من مظاهر الحياة ٠٠ ومن وراء مكتبه الخشبي المتواضع أدار أعلى مستوى لكلية في المنطقة بكل هدوء وبدون ادنى ضجة أو دعاية مكتفيا بخريجي الكلية علما لانتاجه أينما ذهبوا ٠٠ وقابلا في جنة العلم في عزلته وانغماسه في البحث عن خير السبل لتطوير هذه المؤسسة وراضيا بكل المضايقات النفسية بعد سنة ١٩٦٧ وقبلها على أن يترك هذا المنبر العلمي الى مركز اخر في أي جزء من هذا العالم ٠٠ بقي ساكنا صامتا في مكانه دون أي تصريح لمراسل أو أي لقاء رسمي مع اي شخصية كانت بالرغم من مركزه الحساس السياسي والتربوي والعالمي ٠٠واكتفى ببعض الردود على بعض الاسئلة التي وجهت له من هنا وهناك وبكل جراة وموضوعية واخلاص حتى توفاه الله فى ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٧١ فى كليته التى اعطاها عمره وأعطته وتعطيه وستعطيه كل احترام وتقدير وكل وعد للاستمرار على درب الاخلاص للعلم والمعرفة ٠

فقدناه جسدا وبقي لنا فكرا حيا لن يموت مع الاجيال ٠٠ مع نهضة العلم يخلد رجلا من رجال الحضارات ٠٠٠ الرجل الانسان ٠٠٠ « موسى » فاليك تحيتي وللعلم العزاء ونحن على العهد ٠٠٠ أسكنك الله فسيح جناته ٠٠٠ وأسكنك العلم بطون المعرفة ٠٠ سلمت فكرا ٠

« لا تغتروا بعلمكم مهما كان كثيراً بل حافظوا على التواضع والاتزان . وواظبوا على تثقيف نفوسكم الى آخر يوم من حياتكم . لا تفكروا بما يجب ان يمنحكم اياه العلم من امتيازات خاصة بل فكروا بالمسؤوليات الجسيمة التي يحملكم اياها والتي يجب ان تواجهوها بصدق وعزيمة ولا تتهربوا منها . »

موسى ناصر

في ذكرى الفقيد

بقلم : شكيب عنقي

خريج كلية بير زيت سنة ١٩٦٧

يترك لنا موسى حنا ناصر سجلا حافلا من الخدمات والاعمال والصفات الحميدة . وأكثر هذه معروف لدينا ولا يحتاج الى تكرار . غير أن أهم مآثره في اعتقادي تتلخص في مجالات ثلاث مترابطة ، كرس نفسه لها .

أولا ـ انسانيته واهتمامه بالاخرين . لقد كانت لدى موسى ناصر المقدرة النادرة على احترام كرامة كل شخص مهما كان سنه أو مستواه العلمي أو الاجتماعي . وقد ارتقى أعلى الوظائف ولكنه لم يتغاضى يوما عن حقيقة وهي أن قرارات رجال الدولة انما تمس حياة أفراد بني البشر ، وخلافا عن زعماء عديدين ، لم يقع أبدا في خطأ اعتبار الدولة أو الامة هدفا بحد ذاته بل كان يعتقد أنها أداة لخدمة ومساعدة عامة الناس .

ثانيا ـ اهتمامه بالاخرين جعله يؤمن بأن العلاقات بين الناس يجب أن ترتكز على أسس اخلاقية مدروسة ومتينة . وهذا الايمان كان يسير أعماله في كل المجالات التي طرقها ، أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ، أكثر من أي رجل عرفته في حياتي .

ثالثا ـ اهتمامه بالاخلاق قاده الى الاعتقاد بأن التعليم هو وسيلة لغرس القيم الاخلاقية في الاجيال المقبلة ، فبالنسبة له ، لم تكن كلية بير زيت معهدا لتدريب الاطباء والمعلمين والمحامين فحسب ، بل ان واجب التعليم في الدرجة الاولى هو المحافظة على تلك القيم وتلك التقاليد التي لا يمكن لاي مجتمع صالح أن يستمر بدونها .

سيذكر الكثيرون موسى ناصر للمناصب الرفيعة التي كان يتقلدها وخدمته فيها كانت ذات أهمية وتستحق كل التقدير ولكن في اعتقادي ان أهم ما سيبقى ذكره هو ما قدمه لنا في المجال الانساني والاخلاقي والتربوي .

« ان نجاحكم يتوقف على اخلاقكم وعلى مدى استعدادكم للتضحية في سبيل المصلحة العامة ، ولتحمل المسؤولية بصدق وامانة . ومع انه لا يمكن لكل انسان ان يكون ذا ذكاء شديد خارق ، إلا أنه يمكن لكل واحد ان يكون له صدر واسع وخلق متين ، وقدرة على التضحية . »

موسى ناصر

الفقيد في حفلة توزيع الجوائز على الطلبة المثاليين سنة ١٩٦٤

الفقيد واخته نبيهـا مع عمه القس بطرس وابن اخته كمال ناصر
في حفلة توزيع الشهادات سنة ١٩٥٠

بيرزيت تبكي ابنها البارّ

أيها الناس	الاب مناويل مسلم
كلمة وداع	فريد بحج
دمعة على شهيد العلم	يعقوب صايج

أيها الناس

كلمة الاب مناويل مسلم

رئيس طائفة اللاتين في جنين التي ألقاها في جنازة الفقيد

أيها الناس : عزاؤنا ، أن موسى لم يمت : الا
وقد بعث من قبور الجهل والجهالة ،
ميت الاحياء .

لم تطفأ الشعلة في يده : الا وقد حمل جيلنا ،
مشاعل العلم منيرة .

لم يزرع في التراب : الا ليكون قاعدة وأساسا ،
لبناء جيل جديد .

لم يحل الامانة من عنقه : الا وقد ربط الامانة ،
في رقاب الصاعدين

لم يقف : الا وقد شق صعب الطريق ، ووقف ليقول:
«من هنا ، من القبر ، يبتدىء السراط المستقيم

لم يرض بالقبر مسكنا : الا وقد تحقق :
ان جسده سيكون أرضا خصبة
يزرع فيها جيل المختارين .

لم ينضب عرق جبينه : الا وقد تحقق :
انه سيكمن في الارض

ينبوعا يتفجر أملا ومضاء ، في صدور الطامحين .
لم تفك روحه من عقالها : الا وقد تحقق :
ان روح روحه تسكن صدور الملايين .

فنم في قبرك واسترح ، يا ابن بير زيت البار .
فقد جاهدت الجهاد الجميل وأتممت شوطك ،
في سبيل بلدك وأمتك ووطنك :

وامض الى ربك آمنا مطمئنا .

وانني : من صخبة هذا اليوم لحزين ،
باسمك ، وباسم آل مسلم خاصة ، وباسم هذه البلدة عامة ،

أتوجه بعميق الشكر والتقدير لجميع من حملوا قلوبهم الينا ، تشاركنا مصابنا العظيم .
فالى جميع من شدت قلوبهم الدامية قلوبنا تعزيها ، والى جميع من ارتفعت أصوات برقيات تعازيهم ، تدعم صوتنا الكسير ،
والى جميع من انبروا خطباء على قبرك يعددون مناقبك الحميدة ،

اليهم جميعا ، نوجه خالص امتناننا وشكرنا .
لا أراهم الله مكروها
ولا في عزيز لديهم

« السعادة هي ان يتولد في الانسان مقدار كاف من الطموح يدفعه الى العمل نحو اهداف خاصة والى التعاون مع الآخرين في خدمة المصلحة العامة . على ان يكون العمل كله ضمن أنظمة وقوانين وان يتم بمهارة وبروح رياضية لا يتخللها حسد ولا انانية . »

موسى ناصر

كلمة وداع

بقلم السيد فريد بحج ـ نائب رئيس بلدية بير زيت

اليوم تودع بير زيت ابنا من أعز أبنائها ، وتودع البلاد بكاملها شخصية لامعة فذة ، كما تودع المنطقة من أقصاها الى أقصاها رجلا من رجالاتها ، رجلا مخلصا أمينا ، قضى حياته في خدمتها ، وفي خدمة العلم والحقيقة . وذاب كالشمعة المنيرة رويدا رويدا ، يضيء فيجزل الاضاءة ، ويعطي فيجزل العطاء . وحتى اللحظات الاخيرة كان يكتب للعلم والتاريخ فيا ليت أيدي المنون القاسية أمهلته حتى يرى النور ما خطته أنامله ، ويرى هو بنفسه ما أنتجه نير فكره ، وثاقب بصره وبصيرته .

اليوم تودع بير زيت والمنطقة كلها ابنا بارا ، وشيخا وقورا ، ورجلا نبيلا ، شغل مناصب عديدة في شتى مجالات الخدمة ، حكومية وأهلية ، واجتماعية واقتصادية ، منذ فجر حياته حتى لحظة مماته ، خرج منها جميعا ، نظيف اليد والقلب ، نظيف الضمير واللسان ، أمينا مخلصا وطنيا ، عطوفا رؤوفا ، محبا للهدوء والطمأنينة والسلام .

اليوم تودع بير زيت فقيدا غاليا ، ومربيا قديرا ، بذل كل جهوده في سبيل رفع شأنها ، وفي سبيل تقدمها ، وجعلها مركزا للعلم والنور ، تشع فتضيء ، وتظل فتفيء ، فتردد اسمها ليس في بلادنا فحسب ، بل في منطقتنا كلها ، لا بل في العالم أجمع ، اذ لا يخلو بلد من خريجين وخريجات تلقوا علومهم في كلية بير زيت ، التي دأب الفقيد على السهر عليها معظم أيام حياته ، رغم انشغاله في مختلف الخدمات الاخرى وفي أوقات متباينة .

اليوم تذرف البلاد عليه اغزر الدموع ، وتصعد عليه أعمق الاهات والزفرات . وان كان لدينا ما يعزينا جميعا ، فلنا في نجله الكريم كبير أمل ، ووطيد ثقة ، أن سيسد الفراغ الذي أحدثه فقدان أبيه ويزيد . وبعد أيام قلائل سيكون بين ظهرانينا فلا يسعنا انذاك الا أن نقول مع الشاعر :

مع السلامة يا من سار مرتحلا
عنا واهلا وسهلا بالذي قدما

مع السلامة يا أبا حنا ، نم قرير العين ، مطمئن البال ، اذ لا يزال في الجعبة رجال ورجال .

الى رحمة الله يا أبا حنا : وستظل ذكراك ملء القلوب والمشاعر ، وملء الجوارح والنواظر .

وأما أنتم يا هذا المجتمع الكريم ، يا من تجشتم مشاق السفر لتشاركونا هذا المصاب الاليم ، وكلكم حزن وأسى على فقيد العلم والتربية وفقيد الجيل الصاعد ، وفقيد الامة والوطن ، فأتقدم اليكم باسم بير زيت ، بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وأعتبر أن المصاب مصابكم ، والفقيد فقيدكم ، والخسارة للجميع .

فعلى الفقيد العميد ، نستمطر واياكم شآبيب الرحمة ، والى روحه الطاهرة نلقي بألف سلام ، والى آله وذويه نستلهم جميل الصبر والسلوان ، ونتقدم بأحر التعازي ، والسلام عليكم ورحمة الله .

دمعة على شهيد العلم

شعر : يعقوب صايج

خريج كلية بير زيت سنة ١٩٤١

ما لبير زيت اي خطب عراها ... قد خبا النور والسنا من سماها
واذا النجم حول نعشك الثرايا ... سائرات على دروب رباها
قلت ما الخطب ؟ زلزلت ذا الروابي ... أعصا السحر بعد موسى طواها
قد مضى الفذ في سفين حياة ... حمل الجهد والضنى مضناها
شق فيها الطريق نحو المعالي ... فاذا المجد قمة قد علاها
وتقلبت في مراكز شتى ... وخدمت النفوس عند رجاها
معهد العلم خدمة لشباب ... روا منه نفوسهم وصداها
امعلم الاجيال منا تحية ... الفجر نمنمها اذا حياها
ومخرت بحر العمر بحرا زاخرا ... الدر عز على طلاب سناها
تمضي الليالي وما حبلن بمثله ... بير زيت ثاكلة بكته فتاها
فالروضة المعطار ضوع عطرها ... والبلبل الصداح قد جافاها
والصارم البتار غاض بغمده ... ما استل الا واستباح فلاها
من للمنابر والرياسة بعده ؟! ... كان الفقيد يجول في اقصاها
من للوزارة حافظ ومسدد ... كانت تهش له وكان مناها
من للصراحة والامانة والحجا ... نظرت له فاغرورقت عيناها
كان للرأي اذ تبعثر رأي ... قول فصل فمن لموسى سواها
أعقاب هذا الجو كيف سقوطه ؟! ... جاء الغروب فاعثرته خطاها
تمضي السنون وجرح قلبي راعف ... حسرت عليه وما جنته يداها
حنا كشبل في العرين تركته ... متبؤا أعلى العلا أعلاها

الفقيد وزوجته مع الدكتور محمود فوزي وعبد الخالق حسونه وأحمد الشقيري

الفقيد مع الدكتور محمود فوزي وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة

الفقيد مع الرئيس اللبناني فؤاد شهاب ورؤساء الوفود العربية في مؤتمر شتوره

اثناء مؤتمر شتوره

الفقيد مع فيليب تقلا وزير خارجية لبنان

في مؤتمر الدار البيضاء مع هزاع المجالي ورشيد كرامي

الفقيد مع الزعيم الجزائري كريم بلقاسم سنة ١٩٦١

الفقيد مع أحمد الشقيري

الفقيد وزوجته مع الدكتور عزت طنوس

موسى ناصر مع الدكتور احمد سوكارنو الرئيس السابق لأندونيسيا في هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٦٠

مع رئيس الهند الراحل نهرو في هيئة الامم المتحدة بمناسبة عيد استقلال الهند سنة ١٩٦٠

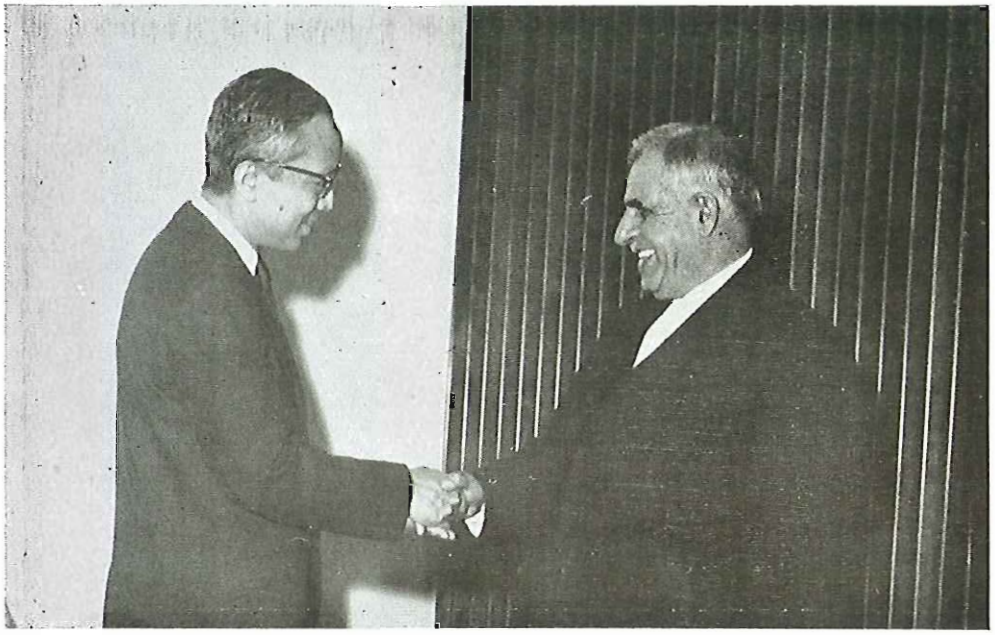

في اروقة الامم المتحدة ـ حديث ودي مع اوثانت رئيس وفد بورما آنذاك

الفقيد وزوجته مع كرشنا منون وزير خارجية الهند في هيئة الامم المتحدة

الفقيد يصغي الى جون ديفس المدير السابق لوكالة الغوث

في لندن مع سيادة المطران نجيب قبعين والقس رفيق فرح والسيد فؤاد سابا ـ
الوفد الذي اجرى مفاوضات تنصيب اول مطران عربي للكنيسة الانجيلية الاسقفية سنة ١٩٥٧

مع بعض اعضاء الوفود الى المجمع الكنسي العالمي في جنيف . وتظهر الى يساره المرحومة الدكتورة سلوى نصار العالمة اللبنانية المعروفة ورئيسة كلية بيروت للبنات التي بدأت حياتها العملية كمدرسة في كلية بير زيت ما بين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٨

مِنْ أفكار ومبادئ الفقيد

نحو الكمال

الاستعداد للمستقبل

الحرّية والمسئولية

العِلم والأخلاق

تهيئة النشء لتحمل المسئولية

السعادة

حول تعليم المرأة

رأيي في الجامعة الأردنية

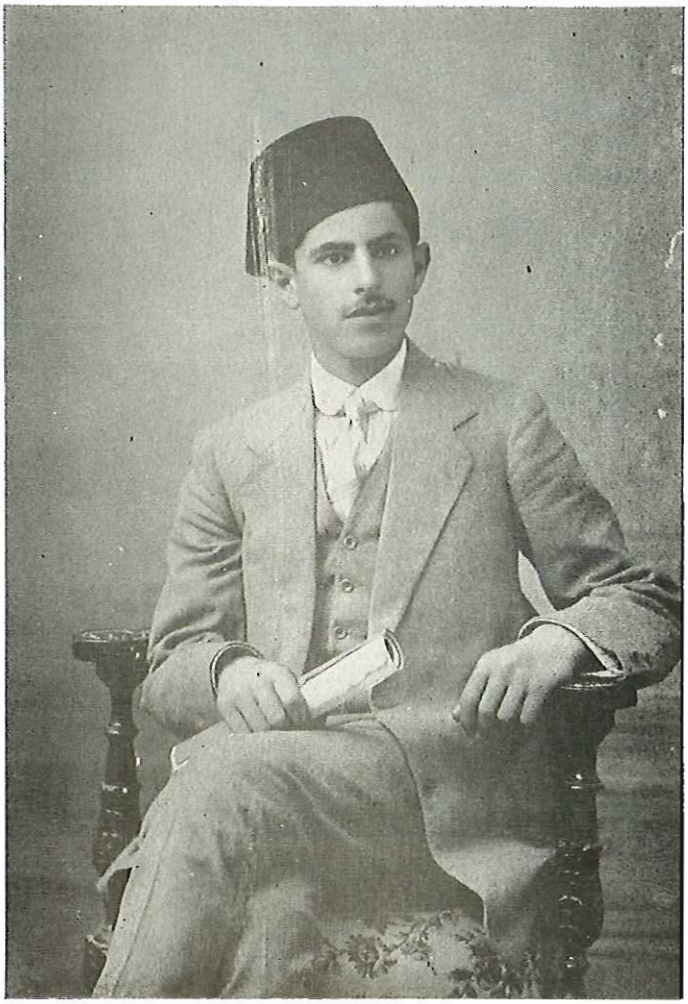

صورة تذكارية لموسى ناصر لدى تخرجه من الجامعة سنة ١٩١٤

نحو الكمال

من خطبة تليت في الاحتفال السنوي للجمعية العلمية العربية بالكلية السورية في بيروت - الجامعة الاميركية حالياً في ٤ حزيران سنة ١٩١٤ .

يكثر الناس في حديثهم هذه الايام من الطعن في المدنية الحاضرة والتنديد بها . فتسمع أحدهم يقول مدنيتنا الحاضرة مدنية ساقطة تسلط القوي على الضعيف . تقسي قلوب الحكام على رعاياهم . تجعل الغني يظلم الفقير . تستدعي استخدام الصغار في المعامل . تحلل للمتمولين احتكار صناعة العامل . تسوغ للمحتكرين دفع اجور بخسة لعمالهم . مدنية تهيج العمال على أرباب المال والامة على الحكومة . تؤيد المبدأ « الحق للقوة » . تسلب النساء حقوقهن الطبيعية . تعزز الطمع وحب المال في قلوب الحكام فلا يجرون عدلا في الارض . الكذب رائج فيها والغش والخداع والنفاق وحب الذات . التعصب الديني أعمى قلوب أبنائها عن الحق ولا يزال يفرق بين القلوب ويذكي فيها نيران البغض والكره والحسد . وبكلمة هي منبع الفساد

والخلاعـــة والرذيلة . فمـا لـك ولهذه المدنية . بالله عليك لا تحدثني عنها ولا تذكر لي اسمها · وكثيرون يتمنون مع هكسلي أن يصدم أرضنـا مذنب يدمرها هي ومدنيتها ·

نذم مدنيتنا الحاضرة لاننا نقابلها مع المدنية التى نتصورها تصورا ولا وجود لها الان · غير اننا اذا قابلناها مع المدنية الغابرة وجدنا البون بينهما شاسعا فان حياة الاقدمين كانت كلهـــا بؤسا وكانوا يقضون العمر فى مناهضة الوحوش المفترسة ومحاربة بعضهم بعضا ويحسبـــون ان للعالم الهة ظالمة لا تسر الا بأذية الانسان ناهيك عن انهم كانوا معرضين للمرض والجوع والخوف والالم · فاذا اعتبرنا ذلك كله قلنا « هنيئـــا لنا ولمدنيتنا » .

شعر الاقدمون بما هم فيه من البؤس فكرهوا الحياة · ظنوا أن لا كمال الا بعد الموت · ظنوا الانسان لا يقدر أن يتسلط على الطبيعة ويستعمل قواها مهما وصل اليه من التمدن والرقـــي · فحسبوا البؤس من لوازم الطبيعة والسعـــادة من خوارقها · ولذلك كانوا يعللون انفسهـــم بالحياة الثانية بعد الموت اذا رضيت عنهم الالهة · وهي لا ترضى عن البشر في زعمهم ما لم يذوقوا أنواع العذاب يقنعون بالتعب والنصب ثم يموتون لكي يستريحوا بعد الموت حيث لا شقاء ولا بؤس ولا أحزان بل سرور دائم وسعادة أبدية · ومـا من أمة الا في ديانتها موطن للسعادة في الحياة الاخرى محل لا يدخله سوى الابرار الذين احتملوا الالام بالصبر الجميل · وهذا دليل على يـــأس الاقدمين وقنوطهم من الحياة الدنيا · ولا عجب في ذلك وقد جهلوا معرفة القوى الطبيعية فبقيت تسيطر عليهم وتذيقهم نتيجة جهلهم من العذاب أشكـــالا ·

أما نحن وان كان بعضنا لا يزال يشاركهـم في كثير من ارائهم واعتقاداتهم ، فقد اصبحنا ننظر الى الحياة من وجهة ثانية · هم حسبـــوا الكمال مستحيلا على الارض ونحن نحسب اننـا على طريق الكمال وان لا بد من الوصول اليـــه أخيرا · هم عدوا التنافر بين مصلحة الانســان ومحيطه من نواميس الطبيعة التي لا يطرأ عليها تغيير · ونحن نعد هذا التنافر عرضيا لا بـــد من زواله في المستقبل · هم توقعوا الحيـــاة السعيدة بعد الموت · أما نحن فنسعى لجعـــل حياتنا سعيدة على هذه الارض قبل الموت · هم حسبوا الشر من طبيعة الانسان ونحن نحسبـــه نتيجة عدم التآلف بين الانسان ومحيطه ومتـــى حصل هذا التآلف لا نعود نسمع بالشر · حياتهم كانت على رجاء وحياتنا على يقين · فكثير مـــن أحلام فلاسفتهم ونبوات أنبيائهم عن الحيـــاة الثانية قد تحقق في جيلنا هذا والباقي سيتحقق فى الاجيال الاتية · الم يتمن افلاطون يومـــا يستغني فيه الانسان عن الاشتغال بيده بما يسخر من الالات · الم يتمن أيضا حكومة ديمقراطيـــة تجرى العدل بين رعاياها وتنظر الى كل فـــرد من أفرادها وتساعده ليعيش عيشة راضية · الا تعد الاديان بسماء يعيش فيها الابرار في نعيـــم مقيم · أو لا نرى الان جماعات من البشر تنطبق حياتهم على هذا الوصف · نعم ان تفاحة واحـــدة ناضجة تدل على أن تفاح الشجرة كله سينضج · كذلك انسان واحد من الذين يتمتعون بالحيـــاة الطيبة دليل على ما سيؤول اليه حال الانسان · فاني أرى أن لا بد من حالة كمالية يصل اليهـــا المجتمع هي منتهى السعادة والسلام وتتمة أقوال الرسل والانبياء الكرام ·

ولكن ما هي الشروط للوصول الى ذلك . لا بد لادراك هذه الغاية من اتمام التآلف بين الانسان ومحيطه . فعلى الانسان اذن أن يعرف أسرار الطبيعة ويفهمها ثم يجري بموجبها فتطيعه وتخضع لارادته . ومقدار هذا التآلف هو مقياس التمدن في كل مكان وزمان . فهذه الابنية الفاخرة والادوات الجميلة والالات العجيبة والسفن العظيمة لا تدل على التمدن الا لانها تدل على ذلك التآلف . فهو سنة الله في جميع أجزاء خليقته .

وفي سبيل هذا التوفيق عقبات هي ثلاثة اعتقادات رسخت في عقول العامة .

الاول ـ الاعتقاد العام بصحة القديم لكونه قديما وفساد الجديد لكونه جديدا .

من أصعب الامور على الناس أن ينبذوا اعتقاداتهم القديمة وأن يروا فساد الفاسد منها . ترى البشر كلهم يسيرون في الطريق التي سار فيها أسلافهم ويكرهون السير في طريق جديدة بل لا يهمهم التفتيش عن طريق جديدة أفضل من القديمة وربما حسبوا ذلك كفرا يغضب الالهة ويجر المصائب . وهذا الاعتقاد هو أعظم عقبة يصادفها المصلح . فما لم نتركه لا نستطيع ادراك غاية الوجود .

الثاني ـ الاعتقاد بأن الطبقة المنحطة مستحقة الانحطاط .

يرى البعض أن مبدأ تنازع البقاء وبقاء الاصلح يعمل في الانسان كما في الحيوان فالطبقة المنحطة هي الجزء الفاسد من البشر وعلينا ان لا نساعدها بل ان نقضي عليها على قدر الامكان .

هذا هو اعتقاد الكثيرين ان لم أقل الاكثر . فاننا ننظر الى النقص في القليل من أهل هذه الطبقة ونتعامى عن الالوف الذين لا نقص فيهم غير انهم خلقوا في محيط كثرت صعوباته فتغلبت عليهم . ولذلك ترانا ننظر الى الضعيف فينا ونحتقره ولا نمد اليه يد المساعدة . ولكن في كل فرد قوة كامنة يجب على الهيئة البشرية أن تساعده ليبرزها .

الثالث ـ الاعتقاد العام بأن الطبقة المنحطة سعيدة بانحطاطها .

نعتقد أن أبناء الفقر سعداء مع كونهم يسكنون المنازل القذرة ويلبسون الثياب الرثة ويأكلون الاطعمة السخيفة ويعملون الاعمال الشاقة

نقول « تعودوا ذلك فلا يشعرون ببؤسهم » ان العادة تخفف كثيرا من الالام والارزاء الا انها لا تجلب السعادة . فالسعادة ليست عدم البؤس بل هي شعور خاص ناتج عن حسن الحال يشعر به السعيد ولا يشعر البائس الا بفقدانه .

ألا ترون أيها السادة كيف أن أبناء الفقر يقضون كل ساعة في خطر الجوع والفاقة ولا راحة لهم بل دأبهم العمل لتحصيل الطعام واللباس الضرورين . فمن أين لهم السعادة ؟

نقول أيضا ان من ارتضى بمعيشته فهو السعيد . وكيف يرتضي هؤلاء بمعيشتهم وهم يقابلون حالهم بحال جيرانهم الاغنياء . وكيف يكونون سعداء وهم ينظرون بأعينهم ويسمعون بآذانهم ويشعرون بأنفسهم الفرق بين حالهم وحال أهل اليسار .

وهذا الاعتقاد يعمى الامة عن واجباتهـــا الاجتماعية ويجعل الحكام يتغاضون عن ســن الشرائع التى تضمن للبائسين التمتع بما يتمتع به غيرهم من الخيرات ٠

والان اذ بينا اننا على طريق الكمـــال وان مستقبل الانسان يكون في عالم مجيد تعم فيـــه السعادة وعرفنا أيضا ما هي العقبات في طريـــق هذه السعادة وانها كلها من عمل الانسان وصنع يديه فيمكنه أن يزيلها كما أوجدها ٠ أفلا يجدر بنا أن نستفيد من هذه المعرفة ونساعد اللـــه أو القوة الطبيعية اذا شئتم على تنفيذ ما لا بـــد من تنفيذه أخيرا ٠ أو لا نرى ان حياة الانســان لا تعد شيئا ما لم تقض في سبيـــل ادراك هذه الغاية المجيدة ٠ فمن هم الرجال الذيـــن يخلد ذكرهم التاريخ ؟ ومن هم الذين نفاخر بهم ونحترمهم ونقتدي بهم ؟ أليسوا الذين بذلـــوا جهدهم ليوصلوا الهيئة الاجتماعية الى غايتهـا بأسرع ما يمكن ؟ نعم هذه هي مشيئة اللـــه ولا أجهل ممن يعرف مشيئته ولا يعمل بها ٠

ان تاريخ المدنية ونشوئها يدل على انه لـــم يكن للانسان يد قوية في الوصول الى هذه الحالة٠ بل كان تقدمه طبيعيا لم يعمل فكرته فيـــه الا في قليل من الاحوال ٠ غيرانه من مدة قصيـــرة انتبهت الشعوب الاوروبية الى مدنيتها افساءهـــا ما رأته من آفاتها فأشهرت عليها حربا عـــوانا ٠ واشتغل أعظم مصلحيهم بازالة هذه الافات فذهب بعضهم الى أن التعليم العام هو أنجع دواء لهذا ٠ ورأى اخرون غير ذلك ٠ لم ينكروا اهمية التعليم بل عدوه غير كاف وحده وحثوا أممهم عـــلى الالتجاء الى ما يسمونه بالانتخاب التناسلـي أي العمل على تكثير نسل الاقوياء وتقليل نســل الضعفـاء ٠

وهذا الانتخاب التناسلي هو نفس الطريقة التى يستعملها النباتيون ومربو الحيوانـــات ٠ فكما انها أفضل واسطة لترقية النبات والحيوان كذلك هي أفضل وسيلة لترقية الانســـان ٠ وقد شعرت الامم الاوروبية كلها بوجوب الاسراع نحو الكمال وبدأت تسعى الى ذلك ٠ أما نحـــن فلا نزال خاملين لا نحرك ساكنا تاركين أمرنـا للطبيعة لتمدننا كيفما شاءت وبأي سرعة أرادت ٠

ان ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح أيهـــا السادة لا يزال يعمل الان كما كان يعمل مـــن قبل ٠ فان بقينا على ما نحن عليه الان مـــــن الاهمال وعدم الانتباه نقصر بلا ريب فى سباق هذه الحياة بعد أن كنا السابقين فنندم حيـــث لا ينفع الندم ٠ وها نحن الان اذا داهمتنا دولة تريد سلخ قسم من سلطتنا سألنا متكاسليـــن « بأي حق تفعل ذلك » ظانين أن ناموس التنازع قد انتهى عمله وأن العدل قد استتب في الارض ٠ وما العدل سوى أن يملك الارض من هو أهـــل لملكها ٠ فالى أين نصل يا ترى ان ظللنا نركـــن الى أوروبا لتحل مشاكلنا السياسية أو لتفـــرج عنا الازمات المالية ٠ أنتم أدرى بذلك ٠ فعلينـــا اذن أيها السادة أن ننهض ونجاري الامم المتمدنة في سيرها أو أن نترك هذا السباق لمن هو أهـل له ولمن يستحقه أكثر منا ٠ فلنفاخر بما نعـــده لاولادنا من أسباب السعادة والراحة والطمأنينة لا بما تركه أجدادنا من الاثار المجيدة التى تدل على اننا لسنا أبناء أمناء ٠ فهذه الحياة سبـــاق لا يفوز فيه سوى الاصلح له من الامم والافراد ٠

الاستعداد للمستقبل

قسم من خطاب القي في يافا سنة ١٩٤٦

والان ننتقل الى الناحية السياسية من الموضوع واني أرجوكم أن تغيروا مجرى تفكيركم فتتحولوا معي من بحث الاراء والنظريات الى بحث حالتنا السياسية الحاضرة ولنسأل أنفسنا بصراحة ماذا عملنا من قبيل الاستعداد للمستقبل. كلنا يشعر بالخطر العظيم الذى يهدد كياننا الاقتصادي والسياسي بل كياننا القومي بكامله فما هي استعداداتنا ؟

لنا هيئة عربية عليا احترم كافة أفرادها لكن لا يسعني الا أن أقول ان هذه الهيئة تشبه بيتا له سقف وليس له حيطان يرتكز عليها ذلك السقف ، فهي لا ترتكز على تنظيمات قومية تدعمها وتستمد قوتها منها ، عينتها الجامعة العربية فظلت معلقة في الهواء بفضل خيط رفيع يربطها مع الجامعة .

ليس اللوم فى ذلك كله على الهيئة نفسها ومع انه كان بوسعها هى أن تبني الحيطان اللازمة لها من منظمات قومية الا اننا نحن أيضا كان من واجبنا أن نقوم بهذا البناء ولا نكتفي بقولنا للهيئة بعدم اكتراث : « نحن نؤيدك فى أعمالك» .

رافقت الحركة الوطنية بعواطفي منذنشأتها وبعملي كلما سنحت لي الفرصة بذلك ويؤلمني أن أقول اني لم أر تشكيلاتنا القومية اضعف مما هي عليه الان اذ كانت دائما تشمل الشعب بأسره أما الان فالشعب أصبح منفصلا عن العراك وبدأ ينشأ بيننا دكتاتورية سياسية أخشى كثيرا من عواقبها .

اني لا أومن بالدكتاتوريات مهما كانت راقية ومهما كانت النوايا سليمة ويكفي ما شاهدناه من نتائج الحكم الدكتاتورى الذى أدى الى انهيار أمم عظيمة بسبب الاخطاء التى ارتكبت عن حسن نية .

على كل حال يجب ان نعلم ان هيئة مؤلفة من أربعة أشخاص لا يمكنها لوحدها أن تنقذ بلادا من خطر كالخطر الذى يداهمنا .

فعلينا ان ننهض لنساعد هذه الهيئة بالفعل لا بالقول فقط ، سواء ارادت هي ذلك ام لم ترد . ولا اخال هيئة عاقلة ترفض معاضدة الامة الفعلية لها .

فعلينا فى أول الامر ان نشكل هيئات قومية فى كل قرية من قرانا وفي كل مدينة من مدننا . وعلى هذه الهيئات بعدئذ ان تتحد في مجلس كبير ، اذا شئتم فسموه برلمانا ، يمثل كافة طبقات الشعب ونزعاته ولا بأس بعد ذلك أن تكون هيئة عليا قليلة العدد على رأس هذا المجلس فتستمد منه القوة والسلطة ولا تصبح عرضة للسقوط فيما لو قطع ذلك الخيط الواهي الذى يربطها مع الجامعة العربية .

هذا من جهة التنظيم ، ولكن التنظيم ليس غاية في نفسه بل هو اداة للعمل ولا قيمة له ان لم ينتج عملا ايجابيا .

ان الاعمال الايجابية التى نحتاجها كثيرة جدا . أمامنا مشاريع اقتصادية جمة لزيادة الانتاج الصناعي والزراعي وللمحافظة على

الاراضي ولنشر التعليم والثقافة ولتحسين الصحة ورفع مستوى المعيشة . وأرجو ان لا يعتقد أحد ان هذه المشاريع أصبحت مضمونة بفضل الجامعة العربية اذ ما حك جلدك غير ظفرك واني أعتبرها أكبر كارثة أن نصبح اتكاليين نسلم أمرنا للاخرين حتى ولو كان أولئك الاخرون اخواننا في العروبة ، فالنار لا تؤلم الا في البقعة التي تسقط عليها من الجسم ، ولنذكر فضلا عن ذلك أن اخواننا ليسوا أحرارا في تصرفاتهم الى الدرجة التي نرغبها ، كما انهم ليسوا مرتاحين من المشاكل الداخلية والخارجية . فعلينا اذن بعد أن نوجد تنظيما مناسبا وشاملا لجميع أفراد الشعب وطبقاته ، أن نعمل في جد ونشاط وفي جميع نواحي الحياة واضعين نصب أعيننا المصلحة العامة .

ولا بد هنا من الاشارة الى بعض الحالات التي يظهر فيها تناقض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . خذ مثلا المقاطعة التي أعلنتها الامة واتفقت الكلمة عليها فأصبحت دستورا للعمل . هنالك تجار يدعون انهم لا يستطيعون كسب عيشتهم ان هم حافظوا على هذا الدستور فماذا نعمل بهم اذا كان قولهم صحيحا ؟ يلزم للامر علاج وهذا لا يستطيع الشخص الواحد أن ينفرد في وضعه . ولكن يجب أن لا ننسى اننا الان في حالة من الطوارىء تجبرنا جميعا أفرادا وجماعات تحمل كثيرا من الصعوبات وليس من المستغرب في ظروف كهذه أن نجد أنفسنا مضطرين أن نضحي بصالح الفرد حفاظا للصالح العام . وليست حالة هؤلاء الافراد أصعب من حالة أولئك الذين يضحون بأرواحهم في سبيل وطنهم . ومن جهة أخرى أعود فأقول ان الداء الذى يعالج بالمال ليس بالداء الخطر اذا لم يكن المريض شحيحا بخيلا ولهذا ارى ان اقل ما يمكننا عمله في هذه الظروف الحرجة ان نمد هيئتنا النظامية بالمال ، أما اذا قصرنا في واجبنا هذا فيجب ان لا نلوم الاخرين اذا وجدنا بعد حين أن وطننا قد ضاع منا . واذا حصل ذلك لا سمح الله نستحق عندئذ لعنة الاجيال القادمة .

وعندما أحثكم أيها السادة بمد يدكم بسخاء لمساعدة هيئتنا العليا بعد أن تكون قد أوجدت التنظيم اللازم أحثكم أيضا ان لا تكتفوا بالدفع والسكوت بل عليكم أن تطلبوا اتخاذ العمل الحاسم والسريع وان تراقبوا صرف الاموال واستخدامها وتسهروا على تعيين الموظفين الصالحين للعمل اذ لا يوجد ما يضر أمة وما يهبط معنوياتها أكثر من أن ترى سوء تصرف بالاموال التى دفعتها عن طيبة خاطر للمنفعة العامة حتى ولو نتج سوء التصرف هذا عن حسن نية .

« اذكروا ان سعادتكم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسعادة وطنكم وسعادة الآخرين . فاعملوا بجد لوطنكم وللآخرين عموماً تجدوا السعادة تزحف اليكم بدون أي جهد جديد . »

موسى ناصر

الحرية والمسئولية

خطاب ألقاه الفقيد في مؤتمر جمعية الشابات المسيحية في أريحا بتاريخ ٢٠-٣-١٩٥٩

موضوعنا الحرية والمسؤولية . ولا بد لنا من تعريف كل من هاتين الكلمتين :

عندما يقول الانسان انا حر يعني بذلك انه يستطيع أن يتصرف كما يريد . فيأكل ما يريد ويلبس ما يريد ويسكن أينما يريد ويشتغل بما يريد ويتزوج بمن يريد . الى غير ذلك من الحريات الشخصية التي لا يشعر الفرد بأي قيد يمنعه من التمتع بها . ولكن يجب أن لا ننسى انه الى وقت قريب جدا كان هنالك أناس لا يتمتعون حتى بهذه الحريات الشخصية البسيطة . أولئك هم العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون في السوق وكانت حياتهم في كل شيء خاضعة لقيود يفرضها عليهم أسيادهم .

غير أن الانسان الحر أيضا مقيد الى حد ما في تصرفاته الشخصية ، كما أنه مقيد في كثير من أعماله الاخرى . فلا يجوز له مثلا ، أن يقتل أو ان يسرق او أن يقوم بأي عمل تحرمه الانظمة والقوانين .

ندرك من هذه الامثلة البسيطة الواضحة أن للحرية قيود وحدود لا يستطيع المرء أن يتجاوزها . وهنا نتساءل : ما هي هذه القيود ومن يفرضها ومن ينظمها .

بقليل من التفكير الهادىء العميق نكتشف ثلاث مصادر رئيسية للسلطة باستطاعتها أن تقيد حرية الفرد وتحد من رغباته .

المصدر الاول هو ارادة الانسان نفسه : مثلا : يمتنع انسان عن السرقة وهو في حاجة شديدة لها والفرصة سانحة للقيام بها . فالرادع عن السرقة في هذه الحالة يأتي من داخل الانسان - من ارادته . وقد يمتنع اخر عن شراء اللحم اذا كانت ظروفه المالية لا تسمح له بذلك . وفي هذه الحالة أيضا يأتي القيد من الداخل - من الارادة . وواضح بالطبع أن ارادة الانسان لا تعتبر بالنسبة له سلطة خارجية عنه . فلا يشعر المرء لذلك انه يفقد حريته اذا ما خضع لارادة نفسه .

ويفقد الفرد ارادته في كثير من الاحيان وذلك عندما تستولي عليه عادات معينة فيصبح مقيدا بتلك العادات . وكلنا يعرف كيف يحاول المدمن أن يترك التدخين أو شرب الخمر ويفشل لان العادة تتغلب عليه وتفقده ارادته . وليست عادات الانسان كلها سيئة بل أكثرها عادات طيبة ضرورية لانها تسهل الحياة وتزيد من بهجتها ولذتها . فنحن نمشي بالعادة ونقرأ بالعادة ونجتهد في عملنا ونتقنه بالعادة ونتكلم الصدق بالعادة ونتعاون مع الاخرين بالعادة ايضا . هذه كلها عادات حسنة تجلب النجاح والسعادة .

اما العبودية للعادات السيئة فتعقد حياتنا وتمزجها بكثير من الشقاء والالم . فعادات الكذب والكسل واهمال الواجب والادمان على المخدرات كلها عادات سيئة من شأنها أن تسبب الضرر والتعاسة . وعندما نعلم أن الانسان لما يكبر يصبح مجرد حزمة من العادات ، سواء كانت عادات طيبة أو رديئة ، ندرك أهمية تربية

الاولاد على العادات الطيبة ومن المؤلم أن نجد رجالا ونساء اكتسبوا عادات سيئة ضارة بهم وبالمجتمع نتيجة لجهل والديهم أو لعدم بذلهم ما يلزمهم من العناية في تربيتهم ·

المصدر الثاني الذى قد يحد من حرية الفرد هو ارادة الاخرين · وينطبق هذا بوجه العموم على العبيد الذين أشرت اليهم سابقا كما ينطبق على القاصرين الذين لم يتم نضوجهم العقلي بعد ، وعلى الذين يعانون نقصا واضحا في عقولهم · غير اننا نجد أبرز مظاهر هذا المصدر فى الدول المستعمرة التي تخضع بعض الشعوب لارادتها ، فتقيد حرية الافراد والجماعات اشباعا لأربها الاستعمارية · وبما ان الاستعمار صائر حتما الى الزوال بسرعة متزايدة لذلك لا أرى ضرورة للتعليق عليه في هذه المناسبة ·

أما المصدر الثالث الذى يقيد حرية الفرد فهو ارادة المجتمع نفسه كما يمليها الرأي العام أو كما تصوغها قوانين الدولة وأنظمتها · هذا هو المصدر الثابت والمهم الذى اريد أن أبحثه اليوم بشيء من التفصيل ·

فالدولة هي السلطة النهائية الدائمة التى يحق لها أن تقيد الحريات وتحد من نطاقها · وهي فى نفس الوقت السلطة الوحيدة التي تستطيع أن تضمن حرية الفرد المحدودة . وأن تحميها من اعتداء الاقوياء عليها · ولولا الدولة لما استطاع أحد ان يتمتع حتى ولا بحرية محدودة · ولاضطر الانسان حينئذ أن يعيش في نظام لا يختلف قط عن نظام الغاب الذى لا يفهم الحرية ولا يحترم الا القوة ·

فحريات الفرد الحقيقية اذن هي الحريات المقيدة التى يمنحه اياها القانون · وهي الحريات التى تقرها الدولة في قوانينها وأنظمتها وتحافظ عليها بواسطة جهازها التنفيذي وهو الحكومة · وبدون دولة وقانون لا يكون هنالك حريات · بل تكون هنالك فوضى يسميها القوى حرية طبيعية ويسميها الضعيف ظلما وعدوانا ·

أما نوع القيود التي تفرضها الدولة على حرية الافراد ومقدارها فيختلفان بحسب الظروف والاحوال · ولكن لا بد لهما من الخضوع للمبدأ العام الذى يقول : ان حرية الفرد يجب أن تنتهي حينما تبتدىء حرية الافراد الاخرين ، أو حينما تبدأ حرية المجتمع بأسره · ومعنى ذلك انه لا يجوز للفرد أن يعطى حرية قد تضر بغيره أو بالمجتمع · كذلك لا يجوز بالطبع أن تفرض على الحرية قيود اكثر مما تتطلبه مصلحة المجتمع أو مصلحة الافراد الاخرين ·

وقد تخطىء الدولة أحيانا في القيود التي تفرضها على الحرية فيعاني الافراد من جراء ذلك صعوبات كثيرة أو قليلة ، بالنسبة لمقدار الخطأ ونوعه · ومن أصعب المسؤوليات التي تواجه الدول في كل زمان ومكان هو اكتشاف القيود التي يجب أن تفرض على الحرية في الظروف المختلفة · هذه هي الصعوبة الرئيسية في الحكم وهي التى تجعل منه فنا قائما بذاته يتطلب كثيرا من الكفاءة والشجاعة والاخلاص · فعندما تقل القيود عما يجب أن تكون تعم الفوضى الهدامة · وعندما تزيد يتحول الحكم الى ديكتاتورية بغيضة وكلاهما يؤديان الى عواقب وخيمة · فالحكومة الرشيدة هي التي تستطيع حفظ التوازن بين هذين النقيضين : الفوضى من ناحية والديكتاتورية من ناحية أخرى ·

قلت فيما سبق ان حريات الفرد الحقيقية

هي الحريات التى يمنحه اياها القانون وتسمى هذه الحريات التى يحددها القانون « حقوقا » . معنى ذلك أن القانون يجيز لنا التمتع بها ، كما انه يجب على الدولة أن تحافظ عليها . ويجدر بنا ان نذكر شيئا عن هذه الحريات القانونية ، التى قلت انها تسمى أيضا حقوقا .

تقسم حقوق الانسان الى قسمين رئيسيين : الحقوق المدنية والحقوق السياسية . وكلها تنظمها الدولة بموجب قوانين خاصة وضمن شروط معينة .

تتألف الحقوق المدنية من الامور الاتية وأكثرها واضح لا يحتاج الى شرح كثير .

١ ـ حق الحياة :أي انه يحق لكل فرد ان يتمتع بحياته فلا يعتدى أحد عليها ولا يوقع بجسده أي ضرر أو تعذيب .

٢ـ حق التصرفات الشخصية : تأكل ما تريد، تشتغل بما تريد ، تسكن أينما تريد ، وهلم جرا.

٣ ـ حق التملك : يجوز لاى فرد ان يمتلك بعض الاشياء . وتختلف الدول فى مقدار الملك الذى تسمح به للافراد.غير أن ذلك لا يعنينا فى الوقت الحاضر .انما المهم أن الدولة ،كل دولة، تسمح بمقدار معين منه وتحافظ عليه من الاعتداء .

٤ ـ حق التعاقد : يجوز للمرء أن يتعاقد مع الاخرين ويعمل معهم اتفاقات اختيارية . وعلى الدولة ان تنفذ أحكام هذه العقود والاتفاقات .

٥ ـ حق التعبير عن الرأي : يجوز لكل فرد أن يعبر عن رأيه في أي موضوع كان بالطبع على ان يتم ذلك بلباقة وادب .

٦ ـ حق تكوين المعتقدات واقامة الشعائر الدينية .

٧ ـ حق اقامة اجتماعات وتاليف الشركات والجمعيات والنوادي وغير ذلك من الاعمال التعاونية المشتركة بين الافراد .

٨ ـ حق الزواج وتأسيس الاسرة .

٩ـ حق المساواة مع الاخرين أمام القانون .

هذه الامور تتضمن الحقوق المدنية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد .

أما الحقوق السياسية فتتالف من الحقين الاتيين :

١ ـ حق المواطن أن يشترك في تقرير ارادة المجتمع او الدولة .

ويعني هذا حقه أن ينتخب وينتخب للمجالس النيابية .

٢ ـ حق المواطن أن يتولى الوظائف الحكومية. ويشترك بذلك اشتراكا فعليا في تنفيذ ارادة الدولة

هذا ما تعنيه كلمة الحقوق السياسية . وكما قلت سابقا تنظم الدولة جميع هذه الحقوق سواء كانت مدنية أو سياسية بموجب قوانين خاصة . ولا يمارسها الفرد الا بالكيفية التي يسمح بها القانون . خذ حق الزواج مثلا . لا يمارس هذا الحق الا بالطريقة التي ينص عليها القانون .

أعتقد أنكم سمعتم عن حقوق الانسان التي أقرتها هيئة الامم المتحدة في أواخر سنة ١٩٤٨ . وليست هذه سوى الحقوق المدنية والسياسية التى ذكرتها لكم . وانما لجأت هيئة الامم الى اتخاذ ذلك القرار لكي تفرض على الدول الاعضاء وجوب منح هذه الحريات لكافة المواطنين فيها .

وبمناسبة التفريق بين الحقوق المدنية

والسياسية اريد ان أذكر لكم مثالا عن وعد بلفور الشهير الذى اعطي لليهود بخصوص فلسطين · فقد تضمن ذلك الوعد تعهدا بالمحافظة على حقوق العرب المدنية فقط وأهمل الحقوق السياسية · وبهذا سلب الفلسطينيين العرب حقهم فى حكم بلادهم · وكل ما ترونه من اضطراب فى الشرق الاوسط انما مرجعه هذا الاغتصاب لحقوق العرب السياسية الذى وافقت عليه الدول في جمعية الامم المتحدة · وأرجو أن يكون العالم قد أدرك الان نتيجة للاحداث العالمية أن الظلم الفاضح الذى اوقع بالعرب سوف لا تنحصر عواقبه واضراره في العرب وحدهم بل ستتعداهم الى الدول التي أوقعته أو عضدته · وأعتقد مخلصا ان الاضطراب السائد الان سوف لا يزول الا بازالة الظلم الذى سببه · هذا ما تقتضيه مصلحة العالم بأسره · وهو أيضا ما يتطلبه العدل الالهي الذى نؤمن به ايمانا وثيقا·

فهمنا الان امورا كثيرة عن الحرية · ما هي وماذا تعني · وما هي أنواعها · وما هي السلطات التي تقيدها ، وكيف تصبح حقوقا عندما تقيدها الدولة وتحافظ عليها · بقي علي أن أشير الى أهميتها لنا وللعالم أجمع ·

تعتبر الحرية أقدس مقدسات الانسان · وقد كانت منذ الازمنة القديمة الهدف الاسمى لكافة الافراد والشعوب ، يدفعهم تأثيرها السحرى الى أعظم الاعمال والى اروعها في البطولة والتضحية · وكم من حرب أشعلتها الحرية · وكم استشهد في سبيلها من بني البشر · ولعل من يسأل : لماذا نقدس الحرية ولماذا نعتبرها ضرورية لنا ؟ · الجواب على هذا السؤال بسيط جدا · ذلك أن طبيعة الانسان تتطلب الحرية · فكما أن أجسادنا لا تستطيع العيش بدون طعام ولا نسأل لماذا كذلك لا تقدر نفوسنا أن تحيا بدون حرية وهنا أيضا ليس لنا أن نسأل عن السبب اذ هكذا خلقنا الله · انظروا كيف ينطلق الفرد وراء الطعام عندما يشعر بالجوع ، هكذا الانسان عندما يفقد حريته يندفع وراءها ليستردها بأي ثمن كان ·

واذا ما عدنا الى التاريخ نجد قسما كبيرا منه مكونا من صراع عنيف بين طالبي الحرية من أفراد وشعوب وبين أولئك الذين سلبوهم اياها أو حاولوا أن يسلبوهم اياها · ومن التاريخ نفسه أيضا نعلم ان الحرية تنتصر في النهاية دائما · وعلى هذا الاساس يمكننا أن نصرح بلا تردد ان الحرية هي الاساس الوحيد الذي نستطيع أن نبني عليه نظاما اجتماعيا ثابتا متينا يقبله الناس جميعا · وسوف لا يكون هنالك استقرار في العالم الى أن تصبح الحرية الاساس الواضح لتنظيم العلاقات بين الافراد المختلفين وبين الشعوب المختلفة ·

وبالرغم من القداسة التي نضفيها على الحرية ومن اعتراف العالم كله بأهميتها لا زلنا نجد أفرادا وشعوبا يسيئون فهمها ويفسرونها بما يتلائم مع مصالحهم الشخصية أو مع مآربهم القومية · فالاثرياء مثلا يعتبرون الحرية عدم التدخل في ثرواتهم وفى ممتلكاتهم وفي أعمالهم التى تدر عليهم أرباحا جسيمة · أما الفقراء فيفسرونها بأنها تعني امتلاك الشعب لرؤوس الاموال كي لا يسيطر الانسان على أخيه الانسان من الناحية الاقتصادية فيسلبه حريته ويستغله ليستفيد من عمله وتعبه · كذلك نرى الشعوب المستعمرة تبرر الاستعمار بحجة رفع مستوى

معيشة الشعوب المستعمرة وتحريرها من عبودية الفقر والجهل والمرض ، أو بحجة حماية حرية تلك الشعوب من استعباد شعوب قوية أخرى لها ، هكذا يفهم المستعمرون الحرية أو هكذا يريدون العالم أن يفهمها .

أما الشعوب المستعمرة فتفسر الحرية انها التخلص من سيطرة الاجنبي ومن حكمه ، وان أهم عنصر في الحرية هو الحرية السياسية والسيادة القومية . نرى من كل هذا أن جميع الفرقاء يعترفون بأهمية الحرية ويبررون التضحية في سبيلها ، ولكن يفسرها كل واحد منهم تفسيرا يختلف عن تفسير الاخرين لها وفقا لآربه الخاصة . ويجدر بجمعية الشابات المسيحية أن تعرف ماذا تقول الديانة المسيحية عن الحرية .

مهما أردتم أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم . هذه القاعدة الذهبية نطق بها المسيح قبل ألفي سنة ، وهي تحتوى على كل ما يجب أن نعرفه عن الحرية وتختلف من ناحيتين عن المبدأ الذى قبله العالم كأساس للتشريع ولسن القوانين التي تقيد الحرية . وقد أشرت الى هذا المبدأ سابقا وهو أن حرية الفرد يجب أن تنتهي حينما تبتدىء حرية الافراد الاخرين .

والناحية الاولى من الاختلاف بين القاعدة الذهبية وهذا المبدأ يتعلق بالسلطة التي تفرض القيود على الحرية . فقد طلب المسيح الينا في هذه القاعدة أن نفرض القيود على أعمالنا بمحض ارادتنا فلا يكون لنا حاجة لسلطة خارجية تفرضها علينا بواسطة القانون . ولذلك قال : مهما أردتم . وبقليل من التفكير ندرك أن هذا هو السبيل الوحيد ليتمتع الانسان بحرية تامة فلا يسيطر عليه أحد . ذلك أن يسيطر هو على نفسه ويضع القيود على حريته بارادته .

أما الفرق الثاني بين القاعدة الذهبية والمبدأ العام فيتعلق بالناحية الايجابية من الحرية . فالقانون الذى تسنه الدولة من شأنه أن يمنعني عن عمل الشر ، ولكنه لا يرغمني على فعل الخير . ينهاني القانون عن السرقة مثلا . لكنه لا يأمرني أن أساعد الاخرين .

هذان الفرقان الاساسيان يلقيان عبئا ثقيلا على عاتق كل من يدعي انه مسيحي . اذ عليه ان ينمي في داخله ارادة قوية تمكنه اولا من وضع القيود على حريته الشخصية بنفسه . وتدفعه ثانيا الى القيام بواجبات ايجابية يحددها هو نفسه أيضا . وبذلك لا يكون قد اكتفى بالواجبات السلبية التي لا يتعداها القانون .

هذا هو نوع المجتمع الذى كان المسيح يهدف الى خلقه وتكوينه . مجتمع يقيد فيه الانسان حريته بنفسه من الناحية السلبية . ويندفع تلقائيا الى عمل الخير من الناحية الايجابية . وهذه هي الحرية كما فهمها المسيح .

انتهيت الان من كل ما يهمنا معرفته عن الحرية فأنتقل الى رفيقتها التي لا تفارقها قط وهي المسؤولية . ولسنا بحاجة الان الى الاسهاب في الشرح فكل حرية تقابلها مسؤولية وكل حق يقابله واجب .

فهل تتمتعين يا سيدتي بحق الحياة ؟ اذن من واجبك أن لا تتعدي على حياة الاخرين . وهل تتمتعين بحرية دينية ؟ اذن يجب عليك أن لا تحجبي هذه الحرية عن الاخرين . هل يحق لك أن تعيشي في ظل حكومة عادلة شريفة أمينة ؟ اذن واجبك أن تعملي على اشاعة العدل وان تتجنبي افساد الحكم بالرشوة . هل يحق لك أن تعبري عن رأيك بلباقة وأدب ؟ اذن يجب عليك أن تسمحي للاخرين أن يفعلوا ذلك أيضا .

ترون من هذه الامثلة الواضحة ان الحق والواجب توأمان لا يفترقان · وهما يشبهان قطعة نقد ذات وجهين · وجه يبين الحق ووجه يبين الواجب · وكما انه لا يمكن فصل وجهي قطعة النقد عن بعضهما كذلك لا يمكن فصل الحق عن الواجب · وكل شخص لا يحترم واجبه ولا يقوم به كما يجب لا ينتظر أن يحترم حقه أحد حتى ولا يجوز له أن يطالب بذلك الحق · فالحريات والحقوق انما تصبح من نصيب الانسان وتدوم له اذا ما استمر على القيام بواجباته بأمانة واخلاص ·

يجتاز العالم اليوم مرحلة دقيقة جدا من مراحل التطوير الاجتماعي نظرا لتعدد المذاهب الاقتصادية السائدة في الوقت الحاضر والتي يدعي كل منها انه الاصلح لرفاه الانسان ورخائه والاضمن لحرياته وحقوقه · وكلكم يعلم ان صراعا عنيفا يدور الان بين الدول الكبرى التي تبنت هذه المذاهب المختلفة · وقد ينتهي هذا الصراع الجبار الى حرب شاملة يكتوي بنارها المحارب والمحايد والمسالم ويعرض البشرية بأجمعها الى الفناء عن وجه هذه البسيطة ، نظرا للاسلحة العصرية الفتاكة التي أصبحت تحت تصرف جميع الفرقاء ·

كذلك كلكم يعلم أن الصراع المذكور يشمل محاولة ملحة يبذلها كل فريق ليكسب تأييد اكبر مجموعة من الافراد والدول والشعوب مستخدما في ذلك جميع وسائل الاغراء والضغط والاكراه · ولسنا نحن بالمعفيين من هذه المحاولات ولا من وسائلها ·

لا أنوى بالطبع أن أتعرض لاي من المذاهب الاقتصادية · اذ يقودنا ذلك الى بحث ليس له من اخر · انما أريد أن ألفت النظر الى أهمية التفكير المتزن والدراسة العميقة قبل أن نتخذ قرارا بتأييد فريق من الفرقاء أو بالبقاء على الحياد بالنسبة لهم جميعا ·

وقد انتشرت الدعاية لكل مذهب بشكل واسع مخيف فأصبح اكتشاف الحقيقة ليس بالامر الهين · ومن الواضح انه في ظروف كهذه لا يجوز لاية دراسة ان تعتمد على كتب الدعاية ونشراتها بل يجب التحري عن الحقيقة في الكتب العلمية ذات المصادر الوثيقة · وفي تقارير البحاثين من أهل العلم الذي يعترف لهم العالم بالصدق والنزاهة · فالموضوع أهم بكثير من أن نكتفي له بدراسة سطحية قد تضللنا وتقودنا الى التهلكة · وكما قلت سابقا قد يتوقف على نتائج هذا الصراع اما بقاء الجنس البشري أو فناؤه ·

وكل ما يهمني اليوم من أمر هذه المذاهب ما يتعلق بموضوع بحثنا أي بمقدار الحرية التي تتوفر للفرد بموجب قوانين كل مذهب · فلا الرفاه المادي ولا الرخاء الاقتصادي يمكن أن يحل محل الحرية في النفس · وقد قال المسيح : «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» · ومن طريف ما قرأت مؤخرا ما قاله أحد الزعماء الذين يناضلون نضالا مستميتا في سبيل الحرية « اننا نفضل الجوع مع الحرية على المعدة المتخمة بالطعام مع العبودية · »

فلتكن الحرية شعارنا · ولنبذل جهدنا لنجعل منها شعارا للعالم بأسره · ولتكن هذه الحرية التي نسعى لنشرها ونعمل على امتدادها تلك الحرية التامة التي لا يمنحها أحد بل تنبثق من أعماق الانسان ، ومن ارادته ومن شعوره بالمسؤولية والواجب نحو الاخرين ·

والسلام ·

العلم والأخلاق

الخطاب الذي ألقاه الفقيد في حفل تخريج دفعة من طلاب وطالبات كلية بير زيت

عصرنا هذا هو حقا عصر العلم والمعرفة فقد تم في الخمسين سنة الاخيرة من الكشف على أسرار الطبيعة أكثر مما تم خلال السنين السابقة . أما الاختراعات والاعمال العظيمة التي حققت في هذه الفترة الوجيزة من الزمن نتيجة لتقدم العلم الباهر فهي مما كان يعتبر في العصور الغابرة ضربا من ضروب الخيال . فقد حطم الانسان الذرة خلال هذه المدة وسيطر بذلك على طاقة جبارة تستطيع محو الحضارة وتدمير العالم بأسره كما انه تغلب على الجاذبية وأصبح يتنقل في الاجواء ويدور حول الارض في مركبات فضائية وذلك بالاضافة الى الالوف من الاختراعات في مختلف ميادين الحياة التي احدثت تغييرا شاملا في مجرى حياتنا اليومية .

نعم ، تم كل هذا في فترة لا تزيد عن عمر الكثيرين منا فأصبحنا بذلك شهود عيان للسرعة البالغة التي تقدم بها العلم ولكل ما حصل من التطور .

ومع هذا نرى أن العالم ما زال غارقا في بحر من الشر والفساد كما كان في العصور السابقة . ولا يستطيع أحد من الاحياء أن يقول بأنه شعر بأي تقدم أخلاقي في المجتمع أثناء حياته مهما كانت حياته طويلة . بل بالعكس هنالك من يؤكد انه شعر بتدهور فاضح في الاخلاق . وفي بعض الاحيان نجد من يسند هذا التدهور الاخلاقي الى نظريات العلم الحديث . فالحروب وأسبابها ما تزال قائمة . والحسد والكبرياء والطمع والغش والحقد والكره والفساد في جميع أشكاله . كل هذه الامور لا تزال قائمة بين الافراد وبين الشعوب ولا نجد مجتمعا واحدا خاليا منها . ولذلك لا بد لنا أن نتساءل . لماذا لم يحرز العلم الان أي تقدم في القضاء على الشر ؟

عندما كنت طالبا في الجامعه قبل خمسين سنة درسنا النظريات المتعلقة بالطاقة الذرية . وكانت كلها نظريات حديثة لم تثبت بالتجربة بعد اذ كانت قد وضعت سنة ١٩٠٥ فقط وكنا من أوائل من درس هذه النظريات .

وكثيرا ما تساءلنا هل يمكن ان تكون هذه النظريات صحيحة وان تصبح الطاقة العظيمة التي نبحث فيها فعلا تحت سيطرة الانسان ؟

ولم تمض أربعون سنة حتى انفجرت قنبلة هيروشيما وخلفت وراءها الدمار الواسع وقتلت وشوهت مئات الالوف من البشر . وكانت هذه القنبلة تطبيقا علميا سريعا ومريعا للنظريات التي وضعت في زماننا فقط .

دعونا الان نقارن بين هذا النجاح السريع في تطبيق النظريات العلمية المتعلقة بالامور المادية وبين الفشل الذي ما زال يلازم الجنس البشري في تطبيق النظريات والقواعد المتعلقة بالامور الاخلاقية والسلوكية .

ظهر فى هذه البلاد قبل مدة طويلة من الزمن نبي عظيم وضع قاعدة للاخلاق والسلوك نصها (افعلوا بالناس ما تريدونهم أن يفعلوا بكم) وقد آمن بهذا النبي مئات الملايين من البشر وقبلوا قاعدته واعتبروها القاعدة الصحيحة وأطلقوا عليها اسم « القاعدة الذهبية » ٠

وقد مر الان على ظهور هذا النبي ما يقرب من الفي سنة وما زال الانسان عاجزا عن تطبيق قاعدته بصفة عامة ٠ ولهذا ظل الشر منتشرا فى الارض ٠

نعود اذن للتساؤل : لماذا عجز العلم الى الان عن اكتشاف الوسائل والاساليب اللازمة لوضع هذه القاعدة موضع التنفيذ ؟

يقول البعض أن تطبيق القاعدة الذهبية لا يحتاج الى تدريب أو ارشاد انما يحتاج الى الارادة فقط ٠ فهل الارادة موجودة ؟

يرى كثيرون ان الظروف قد تبرر الاخلاق السيئة فيقولون لنا مثلا أن السياسة الناجحة تتطلب الخداع والمراوغة وان الارادة الحكيمة تتطلب تحريف الوقائع وطمس الحقائق وأن مصلحة الفرد والمصلحة القومية تفرضان الطموح وحب السيطرة وتتطلبان اشاعة الطمع والشكوك بين الناس وتبرران قتل الافراد والشعوب ليس دفاعا عن النفس فقط بل بغية تأمين المصالح ٠ ان هذه الاقوال كلها وما يرافقها من أعمال وتصرفات تجعلنا نشك فيما اذا كان الانسان يرغب بالفعل فى تطبيق القاعدة الذهبية تطبيقا صارما ٠

أنظروا الى الرجل الابيض الذي لا يرضى أن يساوي نفسه بالرجل الاسود ٠ والى الاوروبي الذى يتشبث في القاء سيطرته على الاسيوي والافريقي ٠ كذلك أنظروا الى الغني الذى يحتقر الفقير وكيف يحاول باستمرار أن يزيد في ثروته بالوسائل الدنيئة غير مكترث بما يسببه للاخرين من ضرر وحرمان ٠

عدت قبل أيام قليلة من الولايات المتحدة حيث شاهدت الصراع الدائر بين السود والبيض وحيث اجتمعت بعدد من الاساتذة والعلماء ورؤساء الجامعات ٠ وكم كانت دهشتي عظيمة عندما اطلعت على عدم اكتراث البعض منهم بماوقع على شعب فلسطين من ظلم فاضح ٠ فهم يقولون ان اسرائيل وجدت لتبقى فلا معنى لبحث الظلم اذا كان قد وقع ظلم ٠لم اشعر بأية رغبة من ناحيتهم في معالجة الخطأ بما يتطلبه العدل أو بما تمليه الروح الانسانية ٠

كذلك أنظروا الى الفضيحة الاخلاقية التي ظهرت فى الاسبوعين الاخيرين فى أرقى الاوساط البريطانية ٠ فقد اهتزت لهذه الفضيحة انكلترا بأسرها وكان ذلك لسبب واحد فقط وهو علاقتها بأمن الدولة ٠ وقد سمعت امرأة تقول لماذا كل هذه الضجة ؟ هذه هي الحياة العادية عند الجميع٠

نعم أيها السادة هذه هي مدنية عصرنا من الناحية الاخلاقية ٠ فهي لا تتقيد بالقاعدة الذهبية ٠ ويظهر انها لا ترغب في أن تتقيد بها ٠ فلذا كانت الرغبة مفقودة ٠ كيف يمكن للعلم أن يهتدي الى الاساليب التى تجعل الاخلاق الحميدة جزءا من طبيعة الانسان فيصبح تطبيق القاعدة الذهبية أمرا حتميا في جميع الظروف والاحوال ٠

هذه هي المشكلة التى تتحدى جميع المصلحين وجميع العاملين فى ميدان التربية والتعليم ٠ ويمكننا تبسيطها بوضعها على الشكل الاتي :ـ

كيف يمكن للعلم أن يخلق ويولد الرغبة الملحة العامة لتطبيق القاعدة الذهبية . اذ عندما توجد الارادة توجد دائما الطريق .

أما التوصل الى جواب صحيح لهذا السؤال فيتطلب تضافر الشعوب وتعاونهم مع المصلحين ومع العاملين في ميدان التربية والتعليم . كما يتطلب أيضا جهودا جبارة يبذلها العلماء والباحثين وهي جهود لا تقل صعوبة عن تلك التي بذلها العلماء في سبيل التقدم الباهر الذى أحرزوه في الامور المادية .

وهنا تخطر ببالي مقارنة تظهر غريبة لاول وهلة ولكنها قد تكون من طبيعة الاشياء . ان الطاقة المادية العجيبة التي حصل عليها الانسان تطلبت تحطيم الذرة وفصل أجزائها عن بعضها البعض ـ أما الطاقة الروحية التي نسعى للحصول عليها فقد لا تأتي الا عن طريق توحيد القلوب البشرية وجمعها وشدها كلها الى غاية واحدة هي خدمة الانسانية بأسرها والارتفاع بها الى أسمى درجات الكمال .

والان اسمحوا لي أن أتوجه بكلمة نهائية للخريجيين .

ابنائي ، اريد قبل كل شيء ان أهنئكم للنجاح الذى أحرزتموه الى الان فيما يتعلق بالامور المدرسية وأتمنى أن يستمر هذا النجاح حليفا لكم دائما .

ثم أريد أن أذكركم بالمسؤوليات العظيمة التى يلقيها العلم على عاتقكم والتي ستتنعهدون بعد قليل بتحملها بكل أمانة واخلاص .

وأخيرا أريد من كل واحد منكم أن يختار لنفسه فى هذه الدنيا هدفا شريفا وأن يسعى للوصول اليه بالوسائل الشريفة أيضا .

واذكروا دائما أن العين التى تحدق أبدا في هدفها فلا تحيد عنه ، وان القلب الذى لا يرجف أمام الصعوبات بل يواجهها بجرأة وعزم ، وان الارادة التى لا تتردد ولا تتزعزع أمام المغريات ، هذه كلها هي عوامل رئيسية في نجاح الانسان .

والله يباركم ويعينكم في كل ما تعملونه لخدمة أنفسكم وخدمة أمتكم .

والسلام

« الحروب التي تسببها الرغبة في العدوان والاستغلال السياسي ، لا يمكن ان تمنع إلا بواسطة الاخلاق . كذلك الظلم الاجتماعي الذي يولده الطمع والحسد وحب السيطرة على الآخرين لا يمكن ان يرفع إلا بواسطة الأخلاق » .

موسى ناصر

« المثقف يستطيع ان يكتم فرحه وحزنه وألمه وغضبه ، ولا يجعل لأي منها تأثيراً في تصرفاته الخارجية » .

موسى ناصر

تهيئة النشء لتحمل المسؤولية

محاضرة ألقيت في قاعة تراسنطة في بيت حنينا بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٩٧٠

اخترت موضوع حديثي اليوم تهيئة النشء لتحمل المسؤولية · ومن المعلوم ان القدرة على تحمل المسؤولية صفة يتميز بها الانسان عن الحيوان ، كما يتميز بها العاقلون من البشر عن القاصرين منهم والمعتوهين · لهذا يمكن اعتبارها بحق أرفع صفة صالحة لمديح أي انسان والثناء عليه · وبعكس ذلك لا يمكن تحقير أى انسان أكثر من أن يقال عنه انه لا يصلح للمسؤولية · هذا وان نجاح أية أمة في الاوقات العادية وغير العادية يتوقف كليا على مقدار نجاح أبنائها ، كأفراد وكجماعات ، فى تحمل مسؤولياتهم العديدة بصورة متواصلة في ميادين الحياة المختلفة ·

المسؤولية كلمة مشتقة من «سأل» فالمسؤول هو الشخص الذى يسأل عما يفعل · والمسؤولية هي الحالة التى يكون الفرد فيها مطالبا بالاجابة على كل « سؤال » يوجه اليه فيما يتعلق بتصرفاته ، ومضطرا الى تقديم الحساب عن أعماله والدفاع عنها أمام الاخرين · ويخطىء الناس عموما اذ يظنون أن المسؤولية تعني مجرد السلطة · وكثيرا ما نسمع من يقول : « أنا المسؤول فلا يحق لاحد أن يتدخل في أمور عملي» والحقيقة انه ، لكونه مسؤولا ، أصبح يحق لبعض الناس أن يتداخلوا ويسألوه عن عمله · ولكن من هم أولئك الذين يسألون الانسان عن أعماله ، أو الذين يحق لهم أن يسألوه ويطالبوه بتقديم الحساب عنها ؟ عندما نفكر قليلا للاجابة على هذا التساؤل نجد أن الفرد ذاته هو أول من يجب أن يحاسب نفسه وينتقد تصرفاته الشخصية ، بغية اصلاح ما يكتشفه فيها من أخطاء · والانسان الذى لا يقوى على محاسبة نفسه بتجرد تام لا يصلح لان تلقى على عاتقه أية مسؤولية قط · ولكن هنالك أيضا أناس اخرون يسألون الفرد دوما عن أعماله ، أو يتساءلون عنها ، بدوافع شتى ، وبطرق عديدة ، وضمن حدود وظروف مختلفة · هؤلاء هم :

أولا : الاقارب ، والاصدقاء ، والمعارف ، وسائر الذين يؤلفون المجتمع ، والذين يتكون من ارائهم المجتمعة ـ مهما تكن متباينة ـ ما نسميه بالرأي العام ·

ثانيا : الاشخاص المكلفون بحفظ النظام والقانون ·

ثالثا : الاشخاص الذين يعمل الفرد تحت امرتهم ·

ولكى نتعمق فى فهم المسؤولية نحللها الى عنصرين أساسيين أولهما « عنصر الشعور بالمسؤولية » والثاني « عنصر التحمل الفعلي لها ، الى ممارستها » · ويعني الشعور بالمسؤولية فى أبسط ظروفه وأحواله ، أن يدرك المرء أن هنالك واجبات متعددة ينبغي عليه القيام بها · ولكي يكون ذلك الشعور كاملا من الضروري أن يدرك الانسان أمورا أخرى أيضا تتعلق بالواجبات نفسها :

أولا ـ يجب أن يدرك أن اهمال الواجبات قد يؤدي الى عواقب سيئة ، لا يستطيع وحده أن يقدر أهميتها ولا كمية الضرر الذى ربما ينتج عنها ·

ثانيا ـ عليه أن يدرك أن الواجبات انما تفرضها سلطات يحق لها أن تفعل ذلك · فالدولة والمجتمع ورؤساء الاعمال كلهم يفرضون واجبات· كما أن الانسان قد يفرض واجبات على نفسه · وفوق هؤلاء جميعا هنالك الواجبات التى يفرضها الدين على جميع المؤمنين · وسوف لا أتعرض لهذا النوع من الواجبات ·

ثالثا ـ عليه أن يدرك أن الواجبات انما تفرض أو يجب أن تفرض لفائدة الناس عموما ، أو لعدد كبير منهم ·

رابعاً ـ واخيراً عليه ان يُدرك انه اذا اعتقد أن هنالك ظروفا وأسباب تبرر اهمال الواجبات المفروضة أو مقاومة السلطات التي فرضتها ، فعليه أن يعالج تلك الامور بطرق خاصة لا مجال لبحثها اليوم ·

أما تحمل المسؤولية فيعنى المحاولة الصادقة لاداء الواجبات المفروضة بصورة مرضية · وينجح الانسان في تحمل المسؤولية عندما يحقق الغاية من الواجبات المفروضة · ويفشل عندما لا يفعل ذلك · وهو في كلتا الحالتين مسؤول ، أي عليه أن يجيب على كل سؤال يتعلق بالنتائج ·

وهنا نتساءل : ما هى الواجبات التى ينبغى على المسؤولين القيام بها ؟ وتسهيلا للالمام بهذه الواجبات ، دون الحاجة الى سردها جميعها واحدة فواحدة ، نقسمها الى خمسة أنواع رئيسية :

أولا ـ الواجبات الشخصية ـ وهي الواجبات التى يجب أن يقوم بها الفرد نحو نفسه · وتشمل المحافظة على صحة الجسم والعقل ، كما تشمل الاستفادة من الوقت الذى وهبنا اياه الله مجانا ·

ثانيا ـ الواجبات العائلية ـ وهى التى يجب أن يقوم بها أفراد العائلة نحو بعضهم البعض ·

ثالثا ـ الواجبات الاخلاقية ـ وهى التى يفرضها المجتمع على جميع الناس بقطع النظر عن نوع عملهم وعن مركزهم الاجتماعي · وهي كثيرة منها الصدق والامانة والمحافظة على النظام والولاء للوطن والاجتهاد والشجاعة الادبية والتقيد بالاوقات والمواعيد ، واتقان العمل ، واحترام حقوق الاخرين · وواجبات أخرى مثلها · وهي ، على ما نلاحظ ، واجبات أخلاقية وسلوكية على رأسها الصدق والامانة · ويمكن اعتبارها جميعا « المؤهلات الاخلاقية » لتحمل المسؤولية نحو الاخرين ·

رابعا ـ الواجبات المسلكية ـ وهي التى يفرضها نوع العمل الذى يتعاطاه الفرد · فالطبيب والمحامي والمهندس والمعلم والنجار والحداد والتاجر والموظف وكل صاحب حرفة أو مهنة مطالب بالقيام بالواجبات المهنية والمسلكية التي يفرضها عليه عمله · وهي تشمل المهارات في المهن والحرف ونوع السلوك الذى تتطلبه كل مهنة على حده ·

خامسا ـ الواجبات الطوعية ـ وهي التى يفرضها بعض الافراد على أنفسهم كما ذكرت سابقا · وهدفهم فى ذلك عادة هو تطوير المجتمع ورفع مستواه واصلاح ما فيه من أخطاء · وتشمل هذه الواجبات ما يتطوع بنشره الكتاب والمؤلفين من نقد ومن اراء فى سبيل تحسين المجتمع ، كما انها تشمل الاساليب الثورية التى تستخدم لنفس الغاية ·

وهنالك ثلاث شروط رئيسية يجب أن تتوفر فى من تلقى على عاتقه أية مسؤولية · الاول أن يكون الانسان راغبا في تحمل المسؤولية ·والثاني أن يكون قادرا على تحملها من ناحية مسلكية · والثالث أن يكون مؤهلا لها من ناحية أخلاقية · ولا يوجد أية صعوبة فى الكشف عن الشرط الاول · فالانسان نفسه هو الذى يقرر اذا ما كان يرغب فى تحمل المسؤولية ·

أما الشرط الثانى ، وهو المهارة المسلكية فالكشف عنه تواجهه بعض الصعوبات · ذلك لان الناس في بعض الاحيان يقدرون كفاءاتهم الشخصية بأكثر من حقيقتها وبأكثر مما يقدرها الاخرون · ويصدق ذلك خصوصا على بعض المهن والاعمال · مثلا ـ اذا سألت محاميا أن يعالج مريضا فهو لا شك يعتذر لانه يجهل في الطب · كذلك اذا طلبت الى نجار أن يصنع لك سريرا من حديد فهو يعتذر أيضا لانه يجهل صناعة الحديد · بينما اذا طلبت الى رجل عادى أن يتولى منصبا اداريا أو سياسيا ، أو أن يكون وزيرا مثلا ، فالاغلب انه يقبل ذلك ، حتى ولو كان على جهل تام بفني الادارة أو السياسة · والسبب في هذا ان عددا كبيرا من الناس لا يدرك المهارات اللازمة لمثل هذه الاعمال · ولذلك نجد من هم مستعدون لتحمل مسؤوليات ضخمة من هذا النوع بالرغم من جهلهم للمهارات التي تتطلبها . هذه الصعوبة في الكشف عن المهارات اللازمة لمثل هذه الاعمال ، تجعل مهمة اختيار الاشخاص اللائقين لها عملية صعبة تتطلب المزيد من المقدرة والعناية والامانة في تقدير مؤهلات المرشحين لها · ويحصل ذلك كثيرا فى المجتمعات التى تخضع لحكم مطلق الذى يفضل الولاء الاعمى على الكفاءة ·

كذلك نجد صعوبات غير قليلة في الكشف عن الشرط الثالث وهو المؤهلات الاخلاقية ، اذ ليس من السهل أن نتأكد من أن الشخص صادق أو محافظ على الوقت مثلا الا بعد التجربة الكثيرة أو التجربة الطويلة · وعندما تضيف صعوبات الشرطين الثاني والثالث الى بعضهما البعض ندرك العوامل القوية التى كثيرا ما تسمح لبعض الافراد أن يشغلوا وظائف ذات مسؤوليات كبيرة مع انهم غير مؤهلين لتحمل أعباء تلك المسؤوليات ·

وهنا يجب ان نلاحظ الفرق بين الشرطين الثانى والثالث · فقد يكون الشخص ماهرا جدا في عمله ولكنه مهمل في المحافظة على الوقت مثلا · فهذا لا يصلح للمسؤولية · كذلك يمكن أن يكون الطبيب ماهرا جدا ولكنه يكسل عن القيام بجميع الفحوص اللازمة لتشخيص المرض تشخيصا صحيحا · فهذا أيضا لا يصلح للمسؤولية · هكذا المعلم الماهر الذى يتغيب عن الصف كثيرا والمحامي البارع الذى يتواطأ مع خصم موكله فهؤلاء أيضا لا يصلحون للمسؤولية · وهلم جرا ·

أشرت فيما تقدم الى واجبات الانسان نحو نفسه · هذه الواجبات هي أساس لمسؤولياته نحو نفسه · كما انها أساس لجميع مسؤولياته نحو الاخرين ، ونحو المجتمع بأسره · ويكمن وراء هذه المسؤولية صعوبة حقيقية · فالانسان فى بدء حياته ، والى أن يصل الى سن معين ، هو سن الثامنة عشر تقريبا ، لا يكون عادة مسؤولا عن نفسه ، بل يكون تحت عناية والديه أو أقاربه ، وتحت رحمة البيئة التى يعيش فيها· وفى هذه المرحلة الخطيرة من حياته يمكن أن يطرأ على صحته ما يسبب لها ضعفا دائما ، أو

قد يتولد أثناءها عادات تؤثر فى تكوين شخصيته وفي مجرى حياته · فالتربية التى يتعرض لهـا الفرد في طفولته قد يكون لها أثر بالغ في قدرته على تحمل المسؤوليات التى سوف يواجهها فـي المستقبل · ولايضاح ذلك أريد أن أختار ناحيـة من حياة الطفـل تتعلق بصحته الجسديـة والعقلية · ان أسوأ ما يمكن أن يضر بصحته هو تدخين السكاير وشرب المسكرات وتعاطـي المخدرات · فاذا ما سيطرت عليه هذه العـادات كلها أو بعضها قبل بلوغه سن الثامنة عشـر يجد صعوبة حقيقية فى التخلص منها ، الا اذا رافقه الحظ واكتسب بعد تلك السن ارادة قوية تمكنه من التغلب عليها ·ولكنه ان لم يفعل ذلك يصبح عبدا لتلك العادات · وقد يصيبه بعـد برهة غير طويلة ضعف دائم فى صحته وفـي حيويته بحيث لا يستطيع بسبب ذلك أن يتحمل كثيرا من المسؤوليات التى سوف تواجهـه · ويقع اللوم في هذا كله على نوع التربية التـي تعرض لها في طفولته كما ذكرت · أما التربيـة الناجحة فتوصل الطفل الى سن الثامنة عشر على الاقل وهو خال من العادات السيئة ومـزودا بالعادات الطيبة · حينئذ يبدأ تدريجيا فـي تحمل المسؤولية نحو نفسه ، لانه يصبح عندئذ قادرا على التمييز بين النافع له والضار ، ويكون فوق ذلك محصنا بالعادات النافعة له · اذكر كل هذا لابين الصعوبة التى يلاقيها الفرد ـ كل فرد ـ في تأهيل نفسه ليكون قادرا على تحمل المسؤولية نحو نفسه · ولالفت نظر الاباء والامهات والمعلمين فى جميع مراحل الدراسة الى المسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقهم فيما يتعلق بمستقبل النشىء الجديـد ·

والان وبعد أن فهمنا حقيقة المسؤولية ندرك انه لا يوجد انسان عاقل خال منها · فكـل انسان عاقل مسؤول عن نفسه على الاقل · غير اننا نستطيع ان نذهب الى أبعد من هذا بكثيـر فنقول ان الاكثرية الساحقة من الناس عليهـا أن تتحمل مسؤوليات عديدة · من هذا يتضـح لنا الحاجة الماسة لتهيئة أفراد النشىء تهيئـة صالحة لما قد يواجهونه من مسؤوليات فـي حياتهم ، صغيرة كانت أو كبيرة ·

تعني التهيئة ، بصفة عامة ، تعليم الفـرد وتدريبه لكي يصبح مؤهلا لتحمل المسؤولية · وهى عملية تربوية تشمل كل ما يجب أن يعرفـه وما يجب أن يتدرب عليه الفرد من الواجبـات التى أشرت اليها فيما سبق ، وهي الواجبـات الشخصية والعائلية والاخلاقية والمسلكية · وعلى رأس هذه كلها الواجبات الاخلاقية ، التـي تتطلبها جميع أنواع المسؤولية · ومن هذه الناحية تعتبر التهيئة عملية جماعية · اذ يشترك فيهـا المجتمع بأسره ككل ، كما يشترك فيها الاب والام وسائر من يضمهم البيت الواحد ، والمعلمـون فى المدارس ، والائمة فى الجوامع والكهنة فـي الكنائس ، والمواطنون المكلفون بالمحافظة عـلى النظام والقانون ، ورؤساء العمل الذين يعمـل الفرد تحت امرتهم ، والاصدقاء والمعارف الذين يتصل بهم فى بيته ، وسائر الناس الذين يؤلفون المجتمع ، والذين تساهم اراؤهم فى تكوين الرأي العام · هؤلاء جميعا يشتركون فعلا في تهيئـة النشىء لتحمل المسؤولية من الناحية الاخلاقيـة بالرغم من أن قسما كبيرا منهم لا يدرك انه يقوم بهذا العمل ولا يشعر به · ولا يصعب علينـا ، أن ندرك أن التهيئة ، سواء كانت حسنة أو سيئة انما تتم على مراحل · فهي تبدأ في البيـت ، وتستمر فى المدرسة وفى الجامعة أحيانا وأخيـرا

تنتقل الى محيط العمل أينما كان ، ولا تنتهي الا بانتهاء حياة الانسان العملية · وفي هذه المراحل كلها يعيش الفرد وسط قيود وعلاقات اجتماعية مختلفة يكون لها أثر واضح في نوع الشخصية التي تكونها تلك التربية ، وفي مدى النجاح الذي يحرزه الفرد في تحمل مسؤولياته · ولا يمكن للجهود التي تبذل في سبيل تهيئة الفرد لتحمل المسؤولية أن تصادف نجاحا الا اذا كان المجتمع الذي يعيش فيه الفرد مؤهلا وقادرا على مؤازرة تلك الجهود ·

ويحتاج التعمق في موضوع التهيئة بصفة شاملة الى دراسة المبادىء الاساسية في التربية · غير أن هذا يقودنا الى بحث أوسع مما نحن بصدده ولذلك سأكتفي بالاشارة الى مبدأ واحد فقط ، وهو أن التربية تعتمد في عملها على أربعة عناصر رئيسية هي : الملاحظة ، والتقليد ، والتلقين ، والممارسة · ولا حاجة الى شرح هذه العناصر · ولكن يجب أن الفت النظر الى أن التلقين وحده ، بما في ذلك الوعظ والارشاد ، لا يكفي قط لتهيئة الفرد لتحمل المسؤولية · بل يجب أن تلازمه الممارسة الفعلية بصورة مستمرة · خصوصا أثناء مرحلتي البيت والمدرسة ·

وتسهيلا لدراسة عملية التهيئة نبدأ بتحليلها الى الاجزاء التي تتألف منها ، مستندين في ذلك الى كل ما قلنا سابقا حول المسؤولية وهذه الاجزاء هي :

أولا ـ تنمية مقدرة الفرد على محاسبة نفسه محاسبة صارمة بأقصى ما يمكن من التجرد ·

ثانيا ـ تنمية المؤهلات الاخلاقية ·

رابعا ـ تنمية المؤهلات المسلكية للفرد ·

خامسا ـ تنمية الرغبة في المساهمة الى اقصى حد ممكن في تطوير المجتمع وتحسينه ·

هذه أهداف خمسة اذا نجحنا في تحقيقها نصل الى ما نبغيه من تهيئة النشىء لتحمل المسؤولية · والسؤال المهم الذي يواجهنا الان هو · ما هي السبل والوسائل التي تمكننا من تحقيق هذه الاهداف كلها ؟ اذا ما استعرضناها واحدة واحدة بقليل من التروي والتفكير نجد في الهدف الثالث ما ينير سبيلنا ويرشدنا الى ما قد يحقق غاياتنا · هذا الهدف هو « تنمية المؤهلات الاخلاقية » · لان عملية تهيئة النشىء هي في الدرجة الاولى عملية تستهدف التربية الخلقية قبل كل شيء · فالاخلاق الحميدة هي الاساس الوحيد الذي تستطيع المسؤولية أن ترتكز عليه · وحيال هذه الحقيقة يجب أن نحصر معظم جهودنا في مجال التربية الخلقية · ولذلك يصبح السؤال الذي ما زال يتطلب منا الجواب هو كيف نربي النشىء تربية خلقية صالحة ؟

دعونا نستعرض جميع الصفات الخلقية التي أوردتها سابقا وهي : الصدق والامانة ، المحافظة على النظام ، الولاء للصالح العام ، الاجتهاد ، الشجاعة الادبية والمحافظة على الوقت ، واتقان العمل واحترام حقوق الاخرين وغيرها · عندما نفعل ذلك بتأمل عميق تبرز أمامنا صفة واحدة تغنينا عن الصفات الاخرى لانها أساس لها جميعها · تلك هي صفة الصدق · خذ هذه الصفة وعالج بها الاهداف المختلفة تراها كلها أصبحت سهلة قريبة المنال ، فالصدق يمكن

الانسان من معرفة نفسه ومن محاسبته لها حسابا صادقا عسيرا . كما انه ينمي فيه الشعور الكامل بالمسؤولية ويمكنه من اكتشاف مواطن الضعف فى نفسه . فيسعى الى كسب المهارات المسلكية التى تنقصه . وبذلك يتجنب خداع الاخرين بما يدعيه من مؤهلات ليست هي فيه . وأخيرا لا بد من الصدق للكشف عن الحقائق المجردة التى يحتاج الفرد اليها اذا ما رغب في الانتقاد البناء ، وفى المساهمة الفعالة فى تطوير المجتمع وتحسينه وفي تحليل المشاكل الاجتماعية بغية معالجتها ، وفى اصدار الاحكام الصحيحة على أخطاء السلطات المختصة .

هذا استعراض موجز جدا ندرك منه أن الصدق يحمل في طياته الوسيلة الرئيسية التى تمكننا من تهيئة النشىء لتحمل المسؤولية . ومما لا شك فيه أن الرجل الصادق ، اذا ما توفرت فيه القدرات المسلكية ، هو الشخص الذى يصلح للمسؤولية . ولا يجوز أن تلقى أية مسؤولية مهما كانت بسيطة على عاتق أي رجل غير صادق ، حتى لو كانت مؤهلاته المسلكية ممتازة .

ولكن ما هو هذا الصدق الذى يمكن كل فرد من تحمل مسؤوليته بصفة مرضية فيغير الاوضاع الاجتماعية بأسلوب سحري . ان أسهل طريقة لتوضيح مفهوم الصدق هي سرد أمثلة من واقع الحياة على ما هو مخالف له ، أي الكذب . بيع السلع المغشوشة ، استعمال الموازين الناقصة ، رفع الاسعار بلا مبرر ، اعطاء معلومات غير صحيحة للمسؤولين عن أى أمر كان ، اضاعة الموظف للوقت أثناء الدوام ، النفاق للمسؤولين ، مبالغة الطبيب فى تهويل المرض ووصف العلاجات غير الضرورية ، الغش فى الامتحانات ، عدم التقيد بالمواعيد ، تواطؤ المحامي مع الاخصام ، سرقة الاموال أو تبذيرها ، اهمال أي واجب مهما كان نوعه ، وربما كان النفاق للمسؤولين من أعظم مناقضات الصدق . يحكى أن ملكا قال لواحد من الذين ينافقون له كثيرا : « كم عندك من الاولاد يا سعيد » ؟ فأجاب على الفور : « عندي يا مولاي أربعة أولاد من خير الله وخيرك»

نلاحظ من هذه الامثلة العديدة ان هنالك صدق فى العمل ، وصدق فى القول . الصدق فى العمل هو أن نكون أمناء فى جميع تصرفاتنا . فلا نوفر جهدا ولا نخلف وعدا ولا نخالف امرا ، ولا نضيع وقتا ، ولا نسرق ولا نبذر مالا . أما الصدق فى القول فهو أن نقول الحقيقة لجميع الذين يحق لهم أن يطلعوا عليها . فرؤساء العمل والموظفون المسؤولون وأصحاب العلاقات فى سائر الامور ، يجب أن نطلعهم بصورة صحيحة على كل ما تتطلبه مسؤولياتهم ومصالحهم أن يطلعوا عليه من الحقائق . أما الفضوليون ، واللصوص والمحتالون ، والذين يسعون لايقاع الضرر بالاخرين ، فهؤلاء جميعا لا يجوز لهم أن يطلعوا على الحقائق ، حتى ولا يجوز لهم أن يطلبوا الاطلاع عليها . فان طلبوها علينا ان نرفض اعطاءها وأن نعتذر عن ذلك بكل وسيلة نراها مناسبة . ضمن هذه الحدود والتعاريف والمفاهيم يصبح الصدق واجبا في جميع الظروف والاحوال دون أي استثناء ودون الحاجة الى التستر وراء ما يسمونه بالكذب الابيض . ويجب أن لا يعتبر الانسان نفسه صادقا اذا ما كان يلجأ الى الكذب أحيانا للحصول على بعض الفوائد لنفسه مهما تكن الحاجة اليها شديدة . ولعل أخطر أنواع الكذب فى المجتمع هو ما يصدر عن اناس هم عادة صادقون ، أو عن اناس ينتظر منهم أن يتكلموا الصدق دائما . خصوصا اذا

كان هؤلاء الناس ممن يتولون مناصب ذات مسؤولية ·

يحكى عن شخص كان يصف أولاده الثلاثة كما يلي :

ابني الكبير يصدق دائما ، ولي ثقة تامة فيه وأعرف انه صادق فيما يقول «الله يرضى عليه»

ابني الصغير يكذب دائما ولكنه لا يستطيع أن يخدعني لانني أعرف انه كاذب فيما يقول « الله يرضى عليه أيضا » ·

أما ابني المتوسط فتارة يصدق وتارة يكذب ويستطيع أن يخدعني اذ لا أعرف متى يصدق ومتى يكذب « الله يغضب عليه » ·

وعندما يكون الكذب الشائع فى المجتمع هو من النوع الذى يصدر عن الابن المتوسط يكون ضرره بالغا · ومما لا بد من الاشارة اليه في هذه المناسبة هو كثرة استعمالنا للقسم لتأكيد أقوالنا · فكأننا نقول للسامعين « صدقونا لاننا نقسم وليس لاننا دائما نصدق » · ولا أعتقد اننا نستطيع أن نحقر أنفسنا بأكثر من الاسراف فى استعمالنا القسم · ولا يعني ما قلناه عن الصدق انه يجب اهمال المؤهلات الاخلاقية الاخرى · ولكنه يعنى فقط ان الصدق هو اساس لها كلها ، وانه لا يمكن للفرد أن يكتسبها ما لم يكن متحليا بصفة الصدق أولا ·

والان نواجه السؤال الهام · وهو كيف يمكننا أن نغرس الصدق فى نفوس النشىء باعتباره العامل الاساسي فى التهيئة لتحمل المسؤولية ؟

من الواضح ان الصدق يجب أن تغرس بذوره فى البيت · ولا ينطوى هذا على صعوبات غير قابلة للتبديل · اذ ليس هنالك من حاجة الى نظريات تربوية تتجاوز مستوى البيت العادى · فالصدق فى أبسط مظاهره وأشكاله يفهمه الصغير والكبير على حد سواء · وكل ما يطلب من رب البيت ، مهما كان عمله ، وبغض النظر عن مركزه الاجتماعي ، ومستوى استعداده العلمي ، هو أن يفرض الصدق البسيط الواضح على نفسه وعلى جميع أفراد أسرته ، في سائر معاملاتهم وعلاقاتهم الداخلية والخارجية · وهذا أمر يقع في حدود امكانات رب البيت وربته · وكل ما يلزمهما هو أن يقتنعا بأن الصدق ضروري لهما ولبيتهما في جميع الاحوال · وهذه القناعة لا يثبتها سوى المجتمع الذى تعيش فيه الاسرة · وما على الوالدين بعد الحصول على تلك القناعة ، الا أن يظهرا الاشمئزاز وعدم الرضى – بشتى الطرق والوسائل – اذا ما لجأ أحد أفراد الاسرة الى الكذب · ولا يعني هذا التبسيط فى العرض ، ان البيت لا يلاقي صعوبات قط فى تدريب أبنائه على الصدق · فهنالك صعوبات نعرفها كلنا ، غير أن هذه تتعلق بالتربية اجمالا ، ولا تنحصر في التدريب على الصدق · ومن الواضح أن البيت الذى يتحمل مسؤولية تربية الصغار وتعويدهم على كل ما يلزمهم من عادات حسنة لمستقبل حياتهم يجب أن يجعل الصدق ضمن المهم من تلك العادات ، التى لا بد لهم من أن يتدربوا عليها · هذا هو الواجب الاساسي للبيت ، وهو الامر الذى يجب أن نعيه وندركه حق الادراك · وهو أمر يتطلب تحسين ما يستخدم من الوسائل لتزويد الاباء والامهات بصورة متواصلة بما يحتاجون اليه من ارشادات تتعلق بتربية أبنائهم ·

تأتي الان الى مسؤولية المدرسة · هنا يتعرض الطفل الى تأثيرات مكثفة في محيط جديد ، يزخر جوه بالمناسبات العديدة لممارسة الصدق قولا وعملا فى ظروف جديدة تختلف اختلافا كليا عن ظروف البيت · فان كان البيت قد نجح في تأدية مهمته الاساسية ، فالمدرسة لا تجد صعوبة فى رعاية ما يكون البيت قد غرسه من عادات ، وفي ترسيخها وتقوية جذورها · أما اذا لم يكن البيت قد نجح فى القيام بواجبه فعلى المدرسة أن تصحح أخطاء البيت بكل ما يجب أن يكون لديها من وسائل التربية ·

وأخيرا يأتي دور المجتمع الذى يعمل الفرد فيه بعد انتهائه من الجلوس على مقاعد الدراسة · وهذا الدور طويل يستمر الى نهاية حياة الانسان · وواجبات المجتمع فيه واضحة · اذ عليه أن يشجع الصدق ويشجب الكذب في جميع الظروف · وهو قادر على تحقيق هذه الامور اذا أراد ، وذلك بواسطة الرأي العام ، وبما لديه من وسائل ضغط قانونية واجتماعية واقتصادية ·

ولكن ما هو المجتمع ؟ وماذا يستطيع أن يعمل بالفعل ؟ المجتمع هو جميع الافراد الذين يؤلفونه· هو أنتم أيها السامعين الكرام وأنا · هو العامل البسيط والعامل الماهر · هو الطبيب والمهندس والمحامى والمعلم والتاجر والشرطي والموظف والقاضي ورئيس العمل والوزير · هو الغني والفقير على حد سواء · هؤلاء جميعا ، بصفتهم الشخصية وبما لهم من علاقة فى الاعمال وما يتمتعون به من سلطة فى ميادين عملهم ، أو بمجرد كونهم ممن يساهمون في تكوين الرأي العام ، يمكنهم بمحض ارادتهم ، أن يعتبروا أبسط أنواع الكذب جريمة اجتماعية بشعة ، ينفرون منها ويحجبون عن الذين يمارسونها ما يستطيعون حجبه من الامتيازات الاجتماعية · فلا يختلطون بهم ، ولا يظهرون لهم ما هم تواقون للحصول عليه من احترام وتقدير · كذلك يمكنهم أن يفرضوا عليهم عقوبات اقتصادية ، فلا يقيمون معهم علاقات تجارية ، ولا يسندون اليهم أي عمل هام · عندما يتم هذا كله يتلاشى الكذب من المجتمع في غضون برهة وجيزة · ويكون المجتمع بذلك قد حقق بصورة صامتة وغير منظورة أكبر ثورة يمكن له أن يحققها · ولا تبقى بعد هذا أية صعوبة فى تربية النشء تربية صالحة ، تؤهله لتحمل المسؤوليات على أكمل وجه · فالاخطاء القليلة أو الكثيرة التي يعجز البيت عن معالجتها ، ولا تنجح المدرسة فى تقويمها ، يتناولها المجتمع فيالنهاية ويصححها بما يستعمله من شدة وحزم مع الذين يكذبون · ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان أجهزة الدولة هي المسؤولة فى الدرجة الاولى عن خلق المجتمع الصادق · وبالتالي عن خلق المجتمع الذى تتهيأ فيه الظروف الملائمة لتحمل المسؤولية · وذلك لكثرة ما تقوم به من أعمال تشمل مختلف نواحي الحياة لجميع المواطنين ، ولما تتمتع به من هيبة وسلطان فى ميادين عملها ، ونظرا لما تستطيع أن تمارسه من دقة وصدق وأمانة في تسيير معاملاتها وفى تنفيذ الانظمة والقوانين التي تفرضها · ويشترك مع المسؤولين فى اجهزة الدولة جميع المسؤولين الاخرين في المجتمع سواء كانوا يعملون فى المؤسسات العامة ، أو فى المؤسسات الخاصة أو فى سائر الاعمال الاقتصادية · هؤلاء جميعا يلقى على عاتقهم عبء اشاعة الصدق بين أفراد الناس عموما ، وبالتالي

عبء المحافظة على أخلاق المجتمع · ويجب أن لا ننتظر نجاحا للجهود التى تبذل في سبيل تهيئة النشىء لتحمل المسؤولية اذا ما بدا واضحا لافراد هذا النشىء أن المسؤولين يتغاضون عن الكذب ولا يعيرون للصدق أية أهمية ، ولا يميزون بين الصادقين والكاذبين عند اسناد مختلف المسؤوليات للمتهافتين عليها ، سواء كانوا يصلحون لها أو لا يصلحون · تدفعنا هذه الحقائق الخطيرة ، وما تثيره من تأملات عميقة ، الى التساؤل ··· ماذا يحصل لو تردت الحال فى أي مجتمع كان الى تلك الدرجة التى يسود فيها الكذب ، ويعم فيها الفساد ، ويختفى من ميدان العمل البقية الباقية من المسؤولين الصادقين الذين يستطيعون تصحيح الاوضاع · يجيب على هذا التساؤل الشاعر العربي في قوله:

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت أخلاقهم ، ذهبوا

فاذا أردنا الان أن نعمل بمزيد من الجد والاخلاص فى تربية النشىء لتحمل المسؤولية فما علينا الا أن نبدأ حالا في تسخير طاقات المسؤولين فى المجتمع ـ سواء كانوا يعملون في القطاع العام أو الخاص ـ ليتعاونوا معا ويفرضوا الصدق فى جميع المعاملات وفى جميع الظروف والاحوال · هذه هي المسؤولية الضخمة التي تلقى على عاتق كل مواطن منا ، بقطع النظر عن مهنته أو نوع عمله · وهي مسؤولية الاحتفاظ بمستوى عال من الاخلاق كي لا تتعطل أجهزة المجتمع فيندثر كيانه اندثارا كليا · ونعرف من التاريخ ان هذا الاندثار يكون نهائيا الا اذا ظهر مصلح جبار ، يتمتع بجميع المزايا اللازمة ، التي تمكنه من القبض على زمام الامور بيد من حديد ، فيصلح الفساد ويعيد المجتمع الى حيويته عن طريق ما يشيعه فيه من الصدق والامانة والعدل والاستقامة وما ينبثق عن ذلك من الفضائل الاخرى · والسلام

« ان الحياة بلا هدف لا قيمة لها ، وليس فيها اذة فلتكن لكم أهداف ولتكن هذه الاهداف الخاصة منها والعامة ، اهدافاً شريفة تسعون لتحقيقها بالوسائل الشريفة ايضاً . لا تقنطوا ولا تيأسوا عندما تعترضكم الصعوبات والعقبات فهذه تزيد في قيمة النصر وفي الغبطة التي يولدها النجاح » .

موسى ناصر

« كونوا صادقين مع أنفسكم ومع غيركم في جميع الامور فالصدق هو خير وسيلة لتذليل الصعاب وللحصول على السعادة الحقيقية » .

موسى ناصر

السعادة

نص آخر خطاب وجهه الفقيد الى خريجي الكلية في حزيران ١٩٧١

علي قبل التحدث اليكم أن أتوجه بالشكر الى الله تعالى لانه حفظنا ومكننا من السير ومتابعة العمل ، بالرغم من الظروف الصعبة التى نعيش فيها · وانني أرجو من صميم قلبي أن تنقشع الغيوم المتلبدة فى جو وطننا بسرعة ، ليعود السلام الى هذه الارض التى منها انتشرت أول رسالة تحث على المحبة والسلام في العالم بأسره ·

وقد رأيت أن أحدثكم اليوم عن السعادة التى ينشدها كل واحد منا ، ويتطلع اليها بصفة خاصة أولئك الشبان والشابات الذين يقفون الان أمام مرحلة جديدة من مراحل حياتهم ·

السعادة أيها السادة هي حالة نفسية في الانسان ، تولدها مؤثرات شتى ، بعضها ينبع من الاجهزة الطبيعية الموجودة في داخل الانسان ، والبعض الاخر تثيره عوامل خارجية تعمل عن طريق تلك الاجهزة الداخلية نفسها · فالسعادة بجميع أنواعها ، وبقطع النظر عن العوامل التي تولدها ، انما تنبثق فى النهاية من داخل الانسان وتعتمد في ظهورها على مدى صلاح أجهزته الداخلية · وهذه الاجهزة نوعان : نوع نستطيع رؤيته ولمسه كالدماغ والقلب والرئتين والعينين وغيرها ونوع اخر لا نستطيع لمسه ولا رؤيته ، منها العقل والضمير · ومما لا ريب فيه أن سلامة الاجهزة المرئية وتأديتها لعملها على الشكل الصحيح ، من الامور التى لا بد منها ليس للسعادة فقط بل لسلامة الاجهزة غير المرئية وللحياة نفسها أيضا · ولكننا لسنا معنيين بهذا النوع من الاجهزة ، انما يهمنا واحد من الاجهزة التى لا نستطيع رؤيتها ولا لمسها ذلك هو « الضمير » · ولهذا الجهاز عمل أساسي في السعادة · ويمكننا أن نعرفه بأنه « الصوت الخافت فى داخلنا الذى نسمعه دوما يقول لنا اعملوا الحق وتجنبوا الباطل » · غير أن الضمير لا يرشدنا الى ما هو «حق» ولا الى ما هو «باطل» بل يترك كل ذلك لنا لنكشفه بجميع وسائل العلم والمعرفة · وقد اكتشف العلم حتى الان ان «الحق» هو كل شيء نافع للفرد أو للمجتمع بأسره أو لكليهما معا وان «الباطل» هو خلاف ذلك ، اى انه كل شيء ضار للفرد أو للمجتمع أو لكليهما · ومن شأن الضمير أيضا ، انه يولد فينا شعورا بالذنب عندما نقترف عملا باطلا فيسبب لنا قلقا بالغا ، ويثير فى نفوسنا شعورا بالتعاسة ، وبذلك يحجب السعادة عنا تلقائيا · أما أولئك الذين ماتت ضمائرهم ومات كل رادع داخلي فيهم ، وصاروا يقترفون الباطل بلا وخز من الضمير فهؤلاء يكفيهم من التعاسة في هذه الدنيا ان كل من عرفهم من الناس يحتقرهم وينبذهم · حتى أن أولئك الذين يخشونهم وينافقون لهم ، يحتقرونهم ويشمئزون من أفعالهم · أما أنواع الباطل التى يقرها العلم والتي ينهانا الضمير عنها فهي كثيرة · بعضها يتعلق بأنفسنا فقط · من ذلك الحسد والطمع وعدم القناعة والكسل وكل ما يضر بصحتنا كالتدخين وتعاطي المسكرات والمخدرات · ويحق لنا أن نستنتج من هذا كله

أن السعادة الحقيقية تبدأ بتوافق الانسان مع ضميره ، أى بسعادته مع نفسه · وهذه ، كما رأينا ،مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلم الصحيح الذى يمكننا من التمييز بين الحق والباطل ، وبالضمير الحى الذى يحثنا على اتباع الحق وتجنب الباطل·

ولكن هنالك أوجه أخرى للسعادة ، تولدها علاقات الانسان المتعددة منها العلاقات العائلية وعلاقات العمل ، والعلاقات مع الاخرين · ولا بد من بعض الايضاح ·

العلاقات العائلية من شأنها أن تجمع بين أسمى أنواع الحب بأشكاله المتعددة وبين ما يفرضه الضمير من واجبات على أفراد العائلة الواحدة تجاه بعضهم البعض · فالسعادة الحقيقية هي كناية عن التوافق بين الحب والواجب ومع انه ليس للحب قواعد ثابتة ، الا انه يستطيع تفجير أقوى الطاقات بغية القيام بالواجب الذى يفرضه الضمير · ونعلم بالاختبار أن قيام أفراد العائلة بواجبهم نحو بعضهم البعض ، بتأثير من الضمير ، يقوى بدوره روابط المحبة بجميع أشكالها بين أفراد تلك العائلة ، ويجلب لهم سعادة بالغة في حياتهم العائلية · وكثيرا ما تعوض السعادة العائلية عن الشقاء الذى قد يتعرض له الفرد في نواحي حياته الاخرى ·

أما علاقات العمل فتولد نوعا من السعادة كثيرا ما يسعى المرء وراءها بعنف زائد وبرغبة ملحة ، حتى انه أحيانا يضحي من أجلها بصحته وبسعادته مع نفسه ومع عائلته · ولكى نفهم حقيقة هذه السعادة ، يجب أن ندرك بعض الامور المبدئية · منها ان الانسان لا يستطيع أن يكون سعيدا بدون عمل · وانه نتيجة لظروف وعوامل لا مجال لبحثها الان ، يصبح بعد سن معين ، ذا ميول خاصة لانواع محددة من العمل · ومنها أيضا ان الانسان لا يستطيع أن يكون سعيدا حقا في عمله ما لم يقترن هذا العمل بهدف عام يسعى الانسان نحوه في حياته · ومن هذه المبادىء العامة ومن غيرها أيضا نستخلص القواعد التالية التى تسهل على الفرد أن يكون سعيدا فى عمله :

١ ـ يجب على المرء أن يختار له في حياته هدفا نبيلا · أي ان لا يتناقض ذلك الهدف مع متطلبات الضمير ·

٢ ـ يجب أن يكون الهدف ضمن طاقات الانسان ·

٣ ـ يجب أن يسعى المرء وراء هدفه بواسطة أعمال نبيلة أيضا ، على أن تكون تلك الاعمال من الانواع التي يشعر بلذة عند تاديتها ·

فاذا ما اتبع الانسان هذه القواعد وجد أن سعادته انما تكمن في ممارسة الاعمال التي اختارها ، وذلك بغض النظر عما يمكن أن يصادفه من نجاح أو فشل · فالسعادة المتعلقة بالعمل ليست سوى الحالة النفسية التي يثيرها السعي المتواصل ، نحو الهدف الذى اختاره الانسان لنفسه · ومما لا شك فيه أن النجاح يثير لمدة قصيرة سعادة عارمة ، وهذه من شأنها ان تضاعف طاقة المرء على العمل وتدفعه الى متابعة الجهد بغية تحقيق هدف جديد · أما الفشل فيؤدي الى أحد أمرين · فهو اما أن يؤدي الى يأس وقنوط ـ وهذا ما يحصل بالفعل لضعيفي الارادة ـ أو انه يؤدي الى دراسة الاخطاء والى محاولات جديدة · وهذا ما يفعله أصحاب الارادة القوية · ندرك من هذا أن السعادة المتعلقة بالعمل لا ينالها الا من يستحقها من ذوي الحزم والارادة·

ولا مجال الان الى المزيد من التفصيل · ولكن لا بد من الاشارة الى بعض العوامل التي قد تؤثر في نوع اللذة التى يولدها العمل ، وبالتالي في نوع السعادة نفسها · من هذه العوامل المهارة والاتقان ، فكلما ازدادت المهارة التي يتطلبها العمل وكلما ازداد اتقانه تصبح اللذة من نوع أرقى · كذلك يتغير نوع اللذة عندما يتم العمل بالتعاون مع الاخرين · وأخيرا نجد أن التنافس الشريف يعطي للعمل الذى يمارسه الانسان لذة من نوع اخر لان التنافس يضع أمام الانسان هدفا جديدا ، هو الانتصار ، وذلك بالاضافة الى هدفه الاصلي ·

ولعلنا نجد في لعبة كرة القدم ، أو في أية لعبة جماعية اخرى ، أمثلة توضح العوامل الحقيقية التى تؤثر فى نوع اللذة ، وهي كما ذكرنا : وجود الهدف ، والتعاون ، والمهارة ، والاتقان ، والتنافس على أن يتم ذلك كله ضمن أنظمة دقيقة ·

نأتى الان الى السعادة التى تثيرها العلاقات الاجتماعية المتعددة · منها علاقات الصداقة وعلاقات الزمالة ، وعلاقات المواطنة والعلاقات مع الرؤساء ومع المرؤوسين ، وعلاقات أخرى عديدة ليس لها حصر · فسعادة الانسان لا يمكن أن تكون كاملة دون أن يكون للسعادة الاجتماعية مكانا بارزا فيها · وهذه مهما كان نوعها ، لا تأتي الا عن طريق تطبيق القاعدة الذهبية التي تنسجم انسجاما تاما مع صوت الضمير وتقول : لا تفعلوا للاخرين شيئا تكرهونه لانفسكم ، بل افعلوا لهم ما تريدونهم أن يفعلوا لكم · هذه القاعدة هى القمة فى العلم والحكمة والدين · وباستطاعتها ، اذا ما وقع الانسان في حيرة من أمره ، أن تقوده دوما الى الحق وأن تجنبه الباطل·

وأخيرا اوصيكم أيها الشبان والشابات ان لا تدعوا الضمير يموت فيكم فتموت معه القوة الوحيدة التى تستطيع ردعكم عن الباطل · ولا تحيدوا عن أهدافكم النبيلة التى تختارونها لانفسكم ، ولا تسمحوا لقلوبكم أن ترجف عندما تعترضكم الصعوبات ، ولا لعيونكم أن ترمش عندما تهز كيانكم الصدمات ، ولا لارادتكم أن تتزعزع أو تنحني أمام ما تلوح به الدنيا من مفاسد ومغريات ·

وختاما أريد أن أعبر لكم ولذويكم عن تهنئتي وتمنياتي القلبية لما حققتموه من نجاح حتى الان ، راجيا أن يظل النجاح حليفكم دائما وأن تتوفقوا فى خدمة أنفسكم وخدمة عائلاتكم وخدمة وطنكم· وانني أسأل الله أن يرشدكم في جميع أعمالكم وأن يباركم في كل يوم من أيام حياتكم ·

والسلام

« الحرية تقترن ابداً بالمسؤولية ولا يمكنها ان تعيش او ان تستمر بدونها » .

موسى ناصر

« هذه هي كلمتي الاخيرة لكم . ان توازنوا بين عقولكم وعواطفكم » .

موسى ناصر

حول تعليم المرأة

سيداتي :

لا أزال أذكر زمنا كانت ترتفع فيه أصوات غير قليلة لتقول ـ ما الفائدة من التعليم للبنات· بل كانت تذهب الى أبعد من ذلك فتعلن أن تعليم البنات أمر ضار بهن · وعندما كنت شابا سمعت أكثر من رجل واحد يصرح بأنه لا يريد أن يعلم ابنته كي لا تستعمل الكتابة في مغازلتها للرجال · لكن ذلك الزمان مضى الى غير رجعة ، وان تكن هنالك بقية صغيرة باقية من أولئك الذين يقاومون تعليم البنات بأصوات خافتة ·

ثم أتى زمن قيل فيه ان تعليم المرأة يجب أن يقتصر على القراءة والكتابة والحساب البسيط فقط ، اذ لا تحتاج هي الى أكثر من ذلك في ادارة شؤون بيتها · ولم يعش هذا الرأي زمنا طويلا ، فمضى هو أيضا وفتح باب التعليم أمام الفتاة على مصراعيه · وأصبح الجدل القائم الان يتعلق بالمواد التى يجب على الفتاة أن تدرسها ·

هنالك نفر من الناس يعتقد باخلاص كلي ان الفتاة يجب أن تتعلم لتكون سيدة صالون فقط · وهذا الرأي يشترك فيه عدد وافر من الرجال بينهم بعض الجامعيين أيضا · فهم يرون أن المرأة انما خلقت لتكون دمية جميلة مهذبة لبقة ، قادرة على جذب الرجال وتسليتهم بالاضافة الى ادارة شؤون المنزل البسيط · وقد يكمن في هذا الرأي بعض الحقيقة فقط ، أما الحقيقة كلها فتطلب أكثر من ذلك بكثير كما سنرى ·

اذا سألت فتى ماذا تريد أن تدرس يجيبك حالا : أريد أن أدرس ما يؤهلني لاكون طبيبا أو مهندسا أو محاميا أو تاجرا او مدير اعمال وهلم جرا · فالفتى بوجه العموم يدرس ليؤهل نفسه للمهنة التى يختارها ليكسب معيشته منها · وهذا أمر محمود وهو طبيعي ولا مناص منه في عصرنا الحاضر ·

أما اذا وجهنا هذا السؤال الى الفتيات فنجد عددا ضئيلا منهن فقط يهدف الى اتقان مهنة كالطب والهندسة والمحاماة كوسيلة للعيش · اذ يعرب أكثرهن عن رغبة في أن يصبحن يوما ما سيدات أنفسهن وربات بيوت · حتى اللواتي يخترن منهن مهنة الطب مثلا فهن يخترنها وكلهن يأملن بأن لا تمنعهن تلك المهنة من أن يتزوجن ويصبحن ربات لبيوتهن · وهذا أيضا أمر طبيعي نافع يستحق الرعاية والتشجيع ·

هذه المقدمة البسيطة ، التى تشير بوضوح الى الهدف الطبيعي للاكثرية الساحقة من الفتيات تساعدنا فى اختيار المواد التى يجب على الفتاة أن تدرسها ·

نلاحظ في أول الامر ان زوجة العامل الفقير هي ربة بيت ، كما أن زوجة الطبيب هي ربة بيت ، كذلك زوجة الثري الكبير أيضا ـ وربات البيوت كما نعلم لا يختلف عملهن عن بعضهن البعض كثيرا مهما اختلفت أعمال أزواجهن · لذلك يمكننا أن نقول بوجه العموم ان التربية التى تحتاجها زوجة العامل البسيط لتقوم

بواجباتها كربة بيت يجب ألا تختلف اختلافا رئيسيا عن التربية التى تحتاجها زوجة الثري الكبير الا فيما يتعلق ببعض الامور الكماليات كحفلات الكوكتيل والسهرات الليلية وما شاكل.

أما الواجبات الاساسية لربة البيت كتربية الأولاد ، والعناية بصحة العائلة والمساهمة في تطوير المجتمع والنهوض به فهي متشابهة . نستنتج من هذا أن النساء بوجه العموم يجب أن يتعلمن تعليما متشابها بقطع النظر عن عمل أزواجهن . وأرجو ان لا يظن أحد اني لا أدرك الصعوبات الاجتماعية التى تكتنف تطبيق هذا الرأي فى الوقت الحاضر حتى في أرقى البلدان. لكني على يقين بأن التربية الحديثة تسير سيرا متواصلا ، ولو بطيئا ، في هذا الاتجاه وهي تهدف ، بتهذيب العقل والخلق معا ، لتؤهل كل فرد ، رجلا كان أم امرأة ، الى أسمى ما يستطيع بلوغه من الرقي والمعرفة التى تنسجم انسجاما تاما مع احتياجات الفرد والمجتمع في نفس الوقت . ولا أقصد اليوم أن أبحث في تفصيل جميع الامور التى يجب على المرأة أن تدرسها ، فهذا بحث طويل عريض وهو بحث عميق أيضا يشغل بال كثير من الحكومات ، ويستنفذ جهود عدد كبير من المفكرين . انما أريد أن أبحث في ناحية واحدة فقط من احتياجات فتاة اليوم . تلك الناحية هي حاجتها الى دراسة العلوم الطبيعية ومدى تلك الحاجة .ولكي لا يظل موضوعنا غامضا لا بد من أن أذكر أن العلوم الطبيعية تعني بوجه العموم علوم الفيزياء والكيمياء والاحياء والفلك ، مع ما تتطلبه هذه العلوم كلها من الرياضيات .وتوضيحا لذلك اليكم أمثلة عديدةمن أبحاث هذه العلوم ومن الاسئلة التي تجيب عليها . وأكثرها له علاقة مباشرة بحياتنا اليومية : ما هي الوسائل العديدة لتوليد الحرارة وكيف نستغلها في بيوتنا ؟ كيف ينتقل الصوت بواسطة التلفون ؟ كيف ينتقل الضوء والنور الى مسافات بعيدة جدا بدون واسطة مادية كما يحصل في الاذاعة والتلفزيون ؟ ما هي الكهرباء ، وكيف تضيء مصابيحنا وتدير أدواتنا المنزلية ؟ وكيف تعمل لتدفئة البيوت وتبريدها أيضا ؟ ما هي الاشعة التى تمكننا من مشاهدة ما يدور في داخل جسم الانسان ، فنرى المعدة تهضم الاكل والقلب يضخ الدم . ما هي أسباب الرياح والعواصف . وكيف تتكون السحب ويسقط المطر والثلج والبرد . كيف تسير السيارة وكيف تطير الطائرة ؟ وما هي الصواريخ وكيف تعمل . ماذا نعني بالاقمار الصناعية التى يرسلها الانسان لتدور في الفضاء وما هو الذى يمكنها من البقاء في الفضاء ؟ كيف يستطيع الانسان أن يدور حول الارض وأن يعود اليها . كيف يستطيع أن يتحكم فى المركبة الفضائية وهي بعيدة عنه . ما هي الطاقة النووية التى تستطيع أن تدمر العالم وكيف نحصل عليها . ما هى الشمس وما هو القمر ، وما هي النجوم الاخرى التي نشاهدها؟ ما هو البترول الذى نستخرجه من باطن الارض. وما هي أهميته فى العالم ؟ كيف يستطيع البترول أن يعطينا الطاقة التي نحتاج اليها في مصانعنا لادارة جميع محركاتنا . وما هي المواد الموجودة فيه التى نصنع منها أدواتنا المنزلية ؟ وما هو الفرق بين الذهب والفضة والنحاس والحديد . وما هو الفولاذ الذى لا يأكله الصدأ والذى يستعمل في صنع السكاكين . كيف نصنع

الزجاج والورق والاقمشة والصابون والاسمنت والمواد العديدة الاخرى ؟ ما هو الفرق بين الصوف والحرير والكتان ؟ وما هي الجواهر واللآلىء والحجارة الكريمة التى نتحلى بها ؟

كيف تصبح حبة القمح التى نزرعها في الارض مائة حبة ؟ وكيف تتناول شجرة البرتقال وشجرة العنب وشجرة الزيتون كل واحدة منها ما تحتاج اليه من الارض ، وهل لها عقل تميز به احتياجاتها ؟ كيف ينمو الجسم ، وما هي الصفات التى يرثها الطفل عن أبويه وجدوده وما هي قوانين الوراثة · ما هو تأثير المشروبات الروحية والسجاير في الصحة وهل صحيح ان التدخين يسبب السرطان ؟ كيف نعتني بصحة أطفالنا من الناحية العقلية والجسمية وما هي الامور التى يجب أن يتجنبها الاباء والامهات مراعاة لصحة أبنائهم ؟ ما هو عقل الانسان وكيف يعمل ؟ ماذا نعني بالعقل الالكتروني الذى نسمع ونقرأ عنه كثيرا فى هذه الايام ؟

هذه الامثلة ، وان تظهر كثيرة ، انما هي قليلة جدا بالنسبة لالوف الاسئلة التى تجيبنا عليها العلوم الطبيعية · ونستطيع الان بعد ان عرفنا شيئا عن هذه العلوم أن نعود فنسأل : هل تحتاج الفتاة الى دراستها والى أي مدى يجب أن تدرسها ؟

وجوابا على الشق الاول أقول انه يجب على كل فتاة أن تدرس العلوم الطبيعية لخمسة أسباب رئيسية :

أولا ـ ان فهم أسرار الطبيعة وادراكها يزيد زيادة كبيرة فى اللذة التى يتمتع بها الانسان فى الحياة · عندما نذكر أن العصر الحاضر هو العصر الذى تحققت فيه أكبر انتصارات علمية وان حياتنا اليومية قد يطرأ عليها تغيير شامل نتيجة لهذه الانتصارات ندرك مقدار اللذة التي لا بد أن يتمتع بها أولئك الذين خدمهم الحظ فتمكنوا من تتبع العلم في صراعه لفهم أسرار الطبيعة وللسيطرة على قواها · ومن منا لا يجد لذة في فهم أجوبة الاسئلة التي أوردتها · فالمرأة التى تحرم من دراسة العلوم الطبيعية تحرم أيضا من اللذة التى ترافق المعرفة ·

ثانيا ـ ان فهم أسرار الطبيعة يزيد ثقة الفتاة بنفسها ، وينمي شخصيتها ، ويدربها على استعمال الاسلوب العلمي في بحثها وتفكيرها فتصبح شخصية جديدة تستطيع معالجة جميع الامور بالاسلوب العلمي الذى اكتسبته · وهذه صفة يحتاج اليها كل شعب ، ليس في نسائه فقط بل في رجاله أيضا · وما أشد حاجتنا نحن العرب اليها ·

ثالثا ـ ان دراسة العلوم الطبيعية تيسر للفتاة استعمال جميع الادوات المنزلية بعقل وادراك · وقد غزت هذه الادوات العصرية ولا تزال تغزو بيوتنا وأصبحت جزءا ملازما لها ·

رابعا ـ ان دراسة العلوم في كثير من بلدان العالم ضرورة حتمية للمرأة بعد أن أصبحت شريكة للرجل في الحياة العامة في كثير من بلدان العالم وهي تسير مسرعة نحو هذه المشاركة في بقية البلدان · ولا تستطيع المرأة أن تشترك فى الحياة العامة بصورة مرضية ما لم تكن مدركة لما تفرضه العلوم الطبيعية من الوسائل العلمية لتطوير المجتمع ، بحيث يصبح قادرا على سد احتياجات المواطنين في جميع نواحي الحياة · فالعلوم الطبيعية هي الاساس المادى للتطوير الشامل الذى يؤثر فى المجتمع ليس

بصفة عامة فقط ، ولكنه يتجاوز المجتمع العام ليدخل البيت والمصنع والمتجر فيؤثر في ما نأكله وفي ما نلبسه وفي البيوت التي نسكنها وفي المدارس التي نرسل اليها أبناءنا وفي المصانع التي نعمل فيها وفي المصنوعات التى تخرجها تلك المصانع . فالمرأة بحاجة للعلوم الطبيعية لتتمكن من المشاركة في توجيه التطوير لمصلحة الفرد ولمصلحة المجتمع أيضا .

خامسا ـ أما السبب الخامس والاخير فهو أهم الاسباب التى تجعل العلوم الطبيعية ضرورية جدا لكل فتاة . وقد تركته للاخر لانه يحتاج الى قليل من الشرح . ان العصر الحالي كما قلت سابقا ، هو عصر العلوم . ولا يمكن لامة أن تنهض أو أن تحتفظ بكيانها ما لم تتمكن من الاستفادة من جميع الاكتشافات العلمية ، حتى لو لم تساهم فيها . وتتطلب هذه الاستفادة خلق جيل كامل من العلماء والفنيين والمحافظة باستمرار على وجود الاعداد الكافية منهم بين أفراد المجتمع . وقد دل الاختبار على أن الذين يتوجهون للدراسات العلمية قليلون جدا بالنسبة لاولئك الذين يقبلون على الدراسات الادبية والانسانية . فجامعة بيروت مثلا تخرج فى كل سنة ثلاثة أو أربعة اشخاص من ذوي الميول العلمية مقابل مئات من الاشخاص من ذوي الميول الاخرى . وسابقا كانت هذه هي الحال فى أكثر جامعات العالم .

عندما كنت طالبا في السنة النهائية في الجامعة وذلك قبل خمسين سنة كنت الطالب الوحيد من أبناء صفي الذى كان يدرس في بعض أقسام العلوم . أما فى الاقسام الاخرى من العلوم فكنا لا نتجاوز الاربعة . ولهذا كنا دائما نتفاخر ونحسب أنفسنا أذكياء الصف . وقد أدركت بعد أن تخرجت من الجامعة أن تفاخرنا كان باطلا من جميع الوجوه . فالعلوم الطبيعية ليست أصعب من غيرها قطعيا . ولا حاجة لشرح ذلك الان . ولكنها تحتاج الى أساليب خاصة في التدريس كما انها تحتاج الى خلق رغبة في الطفل وهو صغير السن أي قبل السادسة من العمر . فالطفل في تلك السن وقبلها يسأل ويستفهم عن كل شيء من الامور التى يراها وأكثرها يكون من النوع الذى يتعلق بأبحاث العلوم الطبيعية وهو يلجأ عادة الى امه . فاذا استطاعت أن تجيب على أسئلته المتواصلة التي قد تستمر بضعة سنين تتولد فيه رغبة عارمة لدراسة العلوم الطبيعية . وقد يصبح يوما ما عالما كبيرا بفضل أمه . أما اذا قالت له لا أعرف ، واذا أعطته اجابة لم تقنعه ، حينئذ تقتل فيه رغبة المعرفة وحب الاستطلاع ولا يعود يظهر أي اكتراث أو أي ميل للعلوم وينقطع عن توجيه الاسئلة . وليس بالطبع من الضروري أن يلجأ الطفل لامه فقط . ولكن الام هي أقرب الناس اليه وهي التى تكون موجودة معه أو قريبة منه في أكثر الاوقات . فحاجة الفتاة للعلوم الطبيعية أمر ضروري جدا اذا ما أردنا أن نوجه أبناءنا الى دراسة العلوم والى التفكير بالاسلوب العلمي . فالام هي الشخص الاول الذى يستطيع أن يخلق الرغبة اللازمة في الطفل ليندفع نحو العلوم الطبيعية . وقد تستطيع المدارس أن تفعل ذلك اذا ما خدمها الحظ واحتوت على القدر الكافي من الاخلاص والمهارة . ولكنها بالطبع لا تستطيع أن تفعل شيئا اذا ما كانت البيوت قد سبق وقتلت الرغبة في الاطفال . أما أقل

ما يتحتم على كل مدرسة أن تؤديه من واجب فهو تغذية وتنمية الرغبة التي يخلقها البيت . ولا عذر للمدرسة التى قد تقتل الرغبة في الطفل بسبب عقم الوسائل والاساليب التى تستعملها فى تدريس العلوم الطبيعية والرياضيات ، أو بسبب عدم كفاءة المعلمين الذين يناط بهم تدريس هذه المواد للطلبة .

ندرك مما تقدم الدور الرئيسي الذى تلعبه أو يجب أن تلعبه المرأة في توجيه أبنائها الى الناحية العلمية . وينعكس هذا الدور على المرأة نفسها . فالام التي تستطيع الاجابة على أسئلة أبنائها تكسب احترام ابنائها لها فتصبح محبتهم لها مقترنة بالاحترام أيضا وهذا هو أشد روابط المحبة .

والان ، بعد أن استعرضنا الاسباب التي تجعل دراسة العلوم الطبيعية أمرا ضروريا لكل فتاة ، ننتقل الى الشق الثاني من السؤال فنبحث فى المستوى الذى يجب أن تصل اليه الفتاة فى دراستها لهذه العلوم . وليس ضروريا بالطبع أن تصبح كل فتاة عالمة فذة في العلوم الطبيعية مثل مدام كورى ، ولكنها يجب أن تدرس القدر الكافي الذى ييسر لها الافادة منها في جميع نواحي الحياة . يقودنا هذا البحث الى أخذ أمور عديدة بعين الاعتبار .

أولا – لا يجوز لاي دراسة أن تنتهي في قاعات الدرس . اذ لا يستطيع الانسان أن يؤهل نفسه للحياة تأهيلا كاملا بمجرد اتمام سنوات معدودة على مقاعد الدراسة . بل عليه أن يستمر في المطالعة وفي التدريب والتمرين كل أيام حياته . ومن الواجبات الاساسية للمدرسة أن تهيء الطالب ليصبح قادرا على الاستفادة من المطالعة الفردية المستقلة بعد أن يغادر المدرسة .

وكل من يكتفي بما حصل عليه اثناء حياته المدرسية فقط لا يمضي عليه زمن طويل حتى يكون قد نسي ما درسه أو أن يصبح ما درسه قديما لا يفيده في حياته اليومية . فلنقر اذن بأنه من واجب كل فتاة أن تستمر في الدراسة والمطالعة كل أيام حياتها ولهذا لا يجوز أن تنتهي حياتها المدرسية قبل أن تصبح قادرة على ذلك .

ثانيا – يتم نمو عقل الانسان العادى فى سن السادسة عشرة ويصبح العقل حينئذ قادرا على استيعاب أصعب الامور وأكثرها تعقيدا . ومن الواضح انه لا يجوز للانسان أن يترك المدرسة نهائيا دون أن يكون قد صرف مدة ولو قصيرة بعد اكتمال نموه العقلي ، بحيث يستطيع أن يطلع أثناء وجوده في المدرسة على الامور الصعبة التى لا يستطيع أن يواجهها لوحده بدون مساعدة مدرسية . وتقدر هذه الفترة اللازمة بسنتين على الاقل . يعنى ذلك انه لا يجوز للطالب أن ينفصل عن المدرسة قبل سن الثامنة عشرة . وبالطبع لا ينطبق هذا على أولئك الذين ، لاسباب عقلية ، لا يمكنهم الاستفادة من المدرسة ، أو يمكنهم الاستفادة أكثر ، من العمل خارج المدرسة .

ثالثا – سن الزواج . هنالك أسباب كثيرة ، صحية واجتماعية ، تدعو الى عدم الزواج الباكر للبنات أي قبل سن الثامنة عشرة . كذلك هنالك أسباب تدعو الى عدم تأخير زواجهن كثيرا بعد سن الواحد والعشرين اذا أمكن ذلك . تشير هذه الاعتبارات المختلفة الى أنه من المناسب أن تبقى الفتاة فى المدرسة الى نهاية السنة الثامنة عشرة من عمرها ، على أن لا تضطر الى البقاء فيها بعد سن الحادية والعشرين . هذان الحدان ينسجمان كليا ، الاول مع مرحلة الدراسة الثانوية الكاملة ، والثانى مع مرحلة الدراسة

الجامعية التى تؤدي الى أولى الشهادات الجامعية · وهي الليسانس أو البكالوريوس · وبما أن الاكثرية الساحقة من الفتيات لا يستطعن أن يلتحقن بالجامعات لاسباب عديدة لذلك لا بد من أن تحتوي الدراسة الثانوية على كل ما تحتاجه الفتاة لتتمكن من العمل ومن الاستمرار على المطالعة · وهنا نتساءل بالطبع ـ ما هي المواد التى يجب أن تحتوي عليها مناهج البنات لنهاية المرحلة الثانوية · يقودنا هذا التساؤل الى بحث فني طويل معقد · ولكني سأشرح الناحية الاساسية منه فقط بأقصى ما يمكن من الايجاز والتبسيط مع التنبيه الى أن كثيرا مما سأقول يعبر عن اراء خاصة قد يخالفها البعض ·

يصرف الطلبة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية ما لا يقل عن ثلاثين ساعة كاملة في الاسبوع مع المعلمين فى الصفوف · فاذا ابتدأت المدرسة فى الساعة الثامنة صباحا فهي لا تنتهي الا حوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، بما فى ذلك فترة الغداء والاستراحة الصباحية · وتقسم هذه الساعات الى أربعين حصة مدرسية ، مدة كل واحدة منها ثلاثة أرباع الساعة · ومن الضروري أن يخصص من هذه الاربعين حصة ما لا يقل عن ثمانية حصص في الاسبوع للنشاط اللاصفي تحت مراقبة المعلمين واشرافهم· ويشمل هذا النشاط الرياضة البدنية والموسيقى والهوايات المختلفة وهلم جرا · فاذا أردنا ان نعطي الوقت الكافي للعلوم الرياضية والطبيعية علينا أن نخصص لهما معا ما معدله ١٢ حصة فى الاسبوع · أما الباقي وهو عشرون حصة فيخصص للغات وللعلوم الاجتماعية · وبهذا التوزيع نستطيع أن نعطي الفتاة تعليما متزنا وشاملا لما تحتاجه من أسس تمكنها من العمل فى البيت وفي فهم كل ما تشاهده وما تقرأ عنه من الظواهر الطبيعية وما يحيط بها من المؤثرات الاجتماعية ، وما يحدث حولها من تطورات سياسية واقتصادية ·

ولتحقيق هذه الاهداف قبل انتهاء المرحلة الثانوية الكاملة لا بد من اجراء بعض التعديل فى مناهج الدراسة ، وفي أساليبها فيحذف كل ما ليس له من شأن في تنمية الفتاة عقليا وعلميا، ويضاف كل ما يجب أن تطلع عليه كأساس ضروري لها فى حياتها · واني واثق اننا اذا فعلنا ذلك فاننا نستطيع أن نوفر للفتيات المعرفة الكافية فى العلوم الطبيعية وغيرها كما تفتح أمامهن أبواب السعادة العقلية · ويهيئهن هذا التعليم المتزن لتصبح كل واحدة منهن أما صالحة ومرشدة قديرة لابنائها وعضوا نافعا فعالا فى جسم الامة ، يشارك الرجل في الرأي وفى تحمل المسؤوليات الاجتماعية الكاملة ·

ولا ينتظر أحد منا اليوم أن نبحث تفصيل المستويات العلمية التي يجب أن تصل اليها الفتاة في كل بحث من أبحاث العلوم الطبيعية · بل نكتفي بتحديد المدة التى يجدر بالمدارس أن تخصصها لدراسة هذه العلوم وهي كما قلت ١٢ حصة في الاسبوع ·

وقبل أن أختم كلامي أرجو أن ألفت نظر جميع الاباء والامهات الى الاهتمام بتوجيه بناتهن الى ناحية العلوم الطبيعية · فاذا أتت الفتاة يوما الى البيت وقالت أنا لا أحب الرياضيات ولا الفيزياء مثلا أو اذا قالت لنا المدرسة ان بناتنا لا يستطعن دراسة العلوم الطبيعية حينئذ يجب أن نولي الامر اهتماما خاصا ونبحث عن أسباب ذلك لكي نتمكن من معالجته قبل فوات الفرصة ·

والسلام

رأي في الجامعة الأردنية

من آراء موسى ناصر وتحفظاته المنشورة في تقرير اللجنة الملكية لشؤون التربية سنة ١٩٦٢

مكان الجامعة واسمها :

رأت أكثرية اللجنة أن لا تتعرض الى موضوع مكان الجامعة واسمها . غير اني اعتبرت من واجبنا أن نعطي رأيا في هذا الموضوع . وقد رفعت المذكرة التالية فيما سبق عندما قدمت اللجنة تقريرها الاول بشأن الجامعة .

للاردن مكانة عالمية مرموقة ، بسبب ما يوجد فيه من أماكن مقدسة لدى الطوائف الدينية الرئيسية . ومع أن الشعب الاردني لا ينسب اليه أي فضل يتعلق بهذه الاماكن المقدسة ، سوى المحافظة عليها ، الا انه انتزع اعجاب العالم بأسره في الاونة الاخيرة ، بتغلبه على كثير من الصعاب التي تحدته ، وبما قام به من الاعمال في جميع الميادين .

وسوف لا يكون هنالك أهم من مشروع الجامعة ـ عندما يتم ـ كدليل على ما في الاردن من اتقان في النشاط ، ومن حكمة في القيادة . فمن الضروري اذن أن تقوم الجامعة في موقع بارز يلفت النظر ، ويجذب كل زائر وسائح لزيارتها . وبذلك تستطيع الجامعة أن تلعب الدور الفعال الذي يجب أن تلعبه في السياسة وفي السياحة معا . ولهذا أرى ما يلي :

أولا ـ أن تقوم الجامعة في موقع ظاهر بارز ، بالقرب من أهم مركز سياحي في العالم ـ مدينة القدس ـ التي يؤمها في الوقت الحاضر عشرات الالوف من السياح من جميع أقطار الدنيا ، والتي نعمل جاهدين لنعدها لاستقبال الملايين منهم في المستقبل .

ثانيا ـ أن تسمى الجامعة « جامعة القدس العربية » وذلك لدحض الدعايات المضللة التي نجحت الى الان في اقناع الكثيرين في الخارج من أن القدس تقع في اسرائيل . فعندما تضاف كلمة « العربية » الى القدس تصبح العلاقة بين القدس والعرب واضحة جلية .

فضلا عن هذا تتمتع القدس بشهرة عالمية ، وهي شهرة غير مادية ، وتفوق شهرة أية مدينة أخرى في العالم . ومن المستحسن جدا أن تستغل هذه الشهرة في مؤسسة جامعية ، رسالتها الاساسية رسالة ثقافية أخلاقية . ولا ريب ان اسم « القدس » كنز لا تضاهيه الكنوز المالية ، ولا أية اعتبارات مادية أخرى . فقد يكون لبعض المدن الاخرى في المملكة ميزات تجعلها صالحة كمقر للجامعة ، ولكني لا أعرف ميزات تفوق بمجموعها ما تتمتع به القدس من ميزات لهذه الغاية .

وعندما ندرك أن جامعتنا يجب أن تكون نموذجية في بلد نموذجي ، بقطع النظر عن حجمها وعدد طلابها ، حينئذ لا نتردد في أن نضعها في المكان الذي توضع فيه النماذج دائما ـ وهو المكان الذي يؤمه أكبر عدد من الزائرين .

ولا يشك أحد في أن اسم القدس سيجلب

المؤازرات العديدة المحايدة للجامعة ، كما انه سيكون عاملا قويا في اهتمام كبار رجال العلم بها ودفعهم على زيارتها والعمل فيها والتحدث عنها .

ولا يمنع هذا كله من أن تؤسس كليات جامعية أخرى في مدن أخرى من مدن المملكة حسب الحاجة . ولكن المصلحة تقضي بأن نبدأ في القدس ونستغل هذا المركز الاستراتيجي الى أبعد الحدود .

« الروح الرياضية هي الروح التي تجعل من المنافس صديقاً ومن الخصم رفيقاً . وهي الروح التي تجعلنا نتحمل الخسارة بشجاعة في صدورنا وابتسامة على وجوهنا . انها الروح التي تغمرنا بالسعادة في كافة ظروف الحياة » .

موسى ناصر

« من واجب الزوجة ان تستمر في تربية زوجها بروح الطموح ، لا الطمع ، فتقف وراءه غير منظورة وتدفعه بلطف الى الامام . وعليها ان تحذر من السير امامه او جره جراً . فالرجل يكره الجر حتى ولو كان لطيفاً ، ولكنه لا يبالي بالدفع الناعم من الوراء » .

موسى ناصر

« ان المرأة هي الجهاز الاساسي للتربية وان سعادة العالم تتوقف الى حد كبير على نوع تأثيرها على الرجال » .

موسى ناصر

في الأمم المتحدة

حول قضية فلسطين

رد على غولدا مئير

حول قضية فلسطين

الخطاب الذى ألقاه معالي وزير الخارجيـــة فى اللجنة السياسية في هيئة الامم المتحـــدة بتاريخ ٢٤ـ١١ـ١٩٥٩ بخصوص قضية فلسطين

في هيئة الامم المتحدة
مع رئيس وفد اليابان والسيدين عبد المنعم الرفاعي ومحمد الفرا اعضاء الوفد الاردني سنة ١٩٦٠

سيدي الرئيس :

ان القضية المعروضة أمام اللجنة الان هـــي استمرار خدمات الاغاثة التي تقدم الى اللاجئين الفلسطينيين العرب ، غير ان لهذه القضيـــة المحدودة فى الظاهر علاقة بينة جلية بقضيـــة فلسطين العامة . وذلك بالنظر الى أن دراستهـــا تتطلب حتما دراسة مستقبل اللاجئين من أجـل التوصل يوما الى انهاء الاغاثة .

ومن الطبيعي أن تكون الامم المتحدة قد توقعت انهاء الاغاثة في المستقبل ولذلك اتخذت بعض المقررات التي تنص على عودة اللاجئين الى ديارهم والى وطنهم . ولم يتم حتى يومنا هذا تنفيـــذ المقررات لان اسرائيل رأت من مصلحتها أن لا تفعل ذلك ، ولكى تدعم هذا التحـــدي المكشوف للمقررات وجدت ضروريا وملائما لها أن تؤولهـا

تأويلا مخالفا للمقصود منها أو أن تدعي بأنهـــا أصبحت لاغية لا قيمة لها وغير ذات موضوع ٠

وقد اعترتني الدهشة عندما استمعت الـــى المناقشة لاول مرة واصغيت الى الحجج التى سيقت حول هذا الموضوع ، اذ شعرت بأن محاولـــة جدية تبذل لتحويل هذه القضية الخطيرة الـــى نزاع فني يثار حول خلافات في الرأي أو خلافات فى تفسير بعض الوقائع أو بعض المقررات ٠

ان قضية فلسطين لاعمق من كل هذا وهـي أبسط من كل هذا أيضا ، فقد اقترف ظلم بالـغ لا مبرر له وارتكب خطأ كبير عن سابق عمـــد وتصميم ، اذ قسمت وشوهت البلاد التى تقدسها ثلاث ديانات عظيمة واستحالت الارض التـــي انتشرت منها أول رسالة عالمية للمحبة والسلام أرضا للضغينة والخصام ، ونتج عن ذلك كلـه أن امتهن حق انسانى طبيعي ، حق تبذل الامم المتحدة غاية جهدها فى سبيل حمايته ، حـــق يحترمه كل مجتمع متمدن ، اذ طرد مليون مـــن البشر من ديارهم وشردوا من أوطانهم ٠

تلك هى القضية يا سيدى الرئيس ، وهي قائمة فعلا بصرف النظر عن تحدي اسرائيـل ، وبصرف النظر أيضا عن المقررات المتخذة أو عن مدلولات تلك المقررات ، وهي تتطور مع الزمـــن وتتضخم ، وأخشى أن لا نعود في المستقبـــل قادرين على التحكم بها ، فقد سبق لها أن هددت السلم العالمي مرة وربما فعلت ذلك ثانية فـي أي وقت كان ٠ فهي ذات تأثير شديد على الشعب المعني بها ، اذ ان لها علاقة بسائر مظاهر حياتـه الانسانية ، الاجتماعية منها والاقتصادية والنفسية والدينية والروحية ٠ ونظرا للتشابك بين هـذه المظاهر المختلفة ، يستحيل العمل على معالجـــة أحدها معالجة كافية دون معالجة المظاهر الاخرى فى نفس الوقت أيضا ٠

وقد مضى الان اثنا عشر عاما منذ أن اتخـذت الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ذلك القرار الذى أدى الى خلق اسرائيل ، والـــى اتخاذ قضية فلسطين شكلها الحالي ولكن عـــلى الرغم من طول الزمن الذى انقضى لم يتحقـــق أي تقدم نحو ايجاد حل للقضية ٠ وفي غضـــون ذلك كله يعيش مليون من اللاجئين العـــرب الابرياء فى حالة من البؤس لا يمكن وصفهـــا ، ممتلئة قلوبهم بشعور المرارة والحسرة وخيبـــة الامل ، وهم يرنون بأبصارهم الينا ، الى الامـم المتحدة ، آملين أن ينظر الى قضيتهم باهتمـــام عميق صادق ، وطالبين بعنف متزايد أن تعاد اليهم حقوقهم المسلوبة ٠ اذ لا يعنون بالجـــدل الذى يثار هنا ، فمنطقهم بسيط لا يمكن نقضـه أو الرد عليه ٠ فيقولون ان منظمة الامم المتحدة التى انشئت لتكون قيمة على العدالة ، ومؤيـدة ومشجعة للحرية فى العالم اتخذت قرارا مجحفـا ظالما انتهك حقوقهم الانسانية الاساسية ، وقـد حصل ذلك رغم معارضتهم واحتجاجهم مما أدى الى حرمانهم من أملاكهم وطردهم من ديارهـــم وبلادهم ٠ ويضيفون أن من واجب الامم المتحدة نفسها أن تتخذ التدابير الضرورية لتمكينهم مـن العودة الى وطنهم واسترداد ما اغتصب مـــن أملاكهم ، وهم لن يقبلوا عذرا لعدم تنفيذ المقررات التى اتخذتها الامم المتحدة والتى من شأنها أن تعيد اليهم ذرة من العدالة ٠ ولا شك أن سمعة هـذه المنظمة ستنهار اذا ما قلنا للاجئين انها بعـــد أن خلقت اسرائيل وقبلتها عضوا من أعضائها ، أصبحت عاجزة عن اتخاذ التدابير اللازمة لارغام اسرائيل على تنفيذ مقرراتها ٠ وأخيرا فلســـوف تزول البقية الباقية من ثقتهم في المنظمـــة ، لو

قلنا لهم بأن معارضتهم ومقاومتهم لقرار التقسيم المجحف ، قد خول اسرائيل حتى معاقبتهـــم بمضاعفة الظلم الذى اشتمل عليه القرار ·

يضاف الى ذلك بأن ما تقوله اسرائيل وتدعيه حول هذه الامور أو غيرها بقصد طمس حـــق اللاجئين ، لا أهمية له فى رأيهم · انهم يعلمـون بأن الاملاك الخاصة لا تتأثر حتى في زمن الحرب، وان الافراد يسمح لهم دائما بالعودة الى ديارهـم اذا ما اضطروا خلال الحرب الى النزوح مـــن مناطق القتال · ان اضطهاد العالم لليهود لا يعني بأن لهم أن يضطهدوا ويعاقبوا العرب بالمقابل · لا سيما عندما نتذكر بأن العرب لم يضطهـــدوا اليهود فى ماضيهم بل على العكس منحوهـــم الملجأ والمأوى ، عندما كانوا مضطهدين · ان مجرد التفكير بأن على اللاجئين أن يعاقبوا بسبـــب جرائم ارتكبها غيرهم أمر لا يحتملونـــــه ولا يقبلونه قطعا · أما الادعاء بعدم وجود مكان للاجئين فهو باطل الان كما كان باطلا من قبـــل ، لان اسرائيل قد سمحت لمليون يهودي بالدخول الـى البلاد وما زالت تحاول اقناع المزيد منهم بالمجيء · وأخيرا يقول اللاجئون ان الادعاء بأن عودتهـــم من شأنها تهديد أمن اسرائيل الداخلي لا أسـاس له من الصحة ، اذ أن القسم الاعظم من المنطقـــة التى سيعود اليها اللاجئون قد خصصت أصـــلا للعرب بموجب قرار التقسيم ليكون جزءاً من الدولة العربية ·

ان هذا المنطق البسيط الذى يفكر به اللاجئون وتصوراتهم البدائية للعدالة التي يتمسكون بها بكل قواهم قد لا تبدو عملية لبعض الناس وليس من الصعب علينا أن ندرك سبب ذلك ، فالمبادىء الاساسية الصحيحة للعدالة لم تبد يوما عمليـــة فى نظر أولئك الذين قد يحدث أن تكون مصالحهم مخالفة للعداله ، غير ان اللاجئين يعتبرون هـذه المبادىء البسيطة الاساس الوحيد لحل عـــادل عملي مقبول ·

سيدي الرئيس :

ان أفكار اللاجئين والمشاعر التى تثير هـذه الافكار هي كالحقائق الطبيعية الملموسة فـــي صحتها وفي تأثيرها · فمن الاهمية بمكـــان أن تأخذها الامم المتحدة بعين الاعتبار ·

لقد استخدمت الى الان مسكنات اتخذت شكل المعونة المادية لكبت المشاعر الانفجارية التـــي شحنت بها القضية ، وليس من الحكمة في شيء أن نعمد الى المسكنات فقط في أية معالجة لا سيما وانه لا يستطيع أحد ان يتنبأ عن مـــدى دوام تأثير أي مسكن ·

هذا هو السبب الهام الذى حمل حكومتـــي على الاهتمام الشديد براحة اللاجئين ورفاهيـــم وبحـــل القضية الفلسطينية بكاملها · فالاردن كما تعلمون قد آوى ما ينـــوف عن (٥٦٠) خمسمائة وستين ألف لاجيء يشكلون ما يقرب من أربعين بالمائة من مجموع السكان في المملكة ·

وقد بذلت حكومتي لاقرار السلم والامن فـي المنطقة جهودا تفوق طاقة البشر ، ونحن فـــي الواقع جد ممتنون لان الجهود تكللت بالنجاح ، ولكن حكومتي ترى بعد امعان الفكر والرويـــة كما يرى سائر الناس الامناء المتفهمين للموقف ، انه اذا لم تحل القضية الفلسطينية على أسـاس من العدالة والانصاف فلن يكون ثمة استقـــرار حقيقي فى الشرق الاوسط ·

ولا شك بأنه يستحيل عليكم أن تقضـــوا على الظلم فيما بين عشية وضحاها ، ولا أقترح اللجوء الى محاولة فجائية كهذه ، ولكن الخطوة

الاولى اللازمة نحو تصحيح أي خطأ هو ادراك وجود الخطأ والاعتراف به ، وانني لعلى ثقة من أن مهمة اللجنة الكريمة في معالجة هذه القضية ستغدو أكثر سهولة لو تسلحت بالشجاعة الكافية للاعتراف بهذا الخطأ . فما دمنا لا نقر بأخطائنا بل نسعى الى تلمس الاعذار لها ، وطالما اننا نضلل أنفسنا ونبذل كل جهد لحجب أخطائنا عن أنفسنا وعن الناس الاخرين ، وما دمنا نخفي رؤوسنا في الرمال كما تفعل النعامة ونستتر وراء الحجج والمجادلات التافهة المزيفة ، ما دام هذا شأننا ، فلن نستطيع تصحيح الخطأ الذى ارتكبناه ، ذلك الخطأ الذى اذا تضخم سيصبح وحشا كاسرا لا قبل لنا بالتغلب عليه .

أما الخطوة التالية اللازمة في عملية رفع الظلم ، فهي أن نتعرف الى أصوله ونستوعب مقداره ونتفهم طبيعته بتمامها ، ولذلك سأعمد الان الى القاء بعض الاضواء على هذه الامور بقصد اثارة تفكيرنا حول التدابير العملية الضرورية وسأكون في ذلك موجزا بقدر المستطاع وسأتجنب العودة الى الماضي الا اذا كان ذلك لازما لتوضيح الحاضر .

دخلت اسرائيل فلسطين تحت قناع (الوطن القومي اليهودى) وذلك بموجب سياسة وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ ، وهنا يكمن أصل البلاء اذ بموجبه قدمت بعض الدول الاستعمارية فلسطين هدية لليهود دون علم سكانها ورضاهم وكانوا آنئذ (٦٥٠) ستمائة وخمسين ألف عربي و (٥٦) ستة وخمسين ألف يهودي ، أي ان نسبة السكان كانت اثنين وتسعين بالمائة عربا وثمانية بالمائة يهودا ، وقد كان ظلم هذا الوعد وعدم شرعيته واضحين منذ البداية ، كما أن عرب فلسطين ما لبثوا ان اكتشفوا بأن السياسة التي اتبعت طبقا لهذا الوعد كان من شأنها أن تقضي على مصالحهم وتهدد كيانهم ووجودهم ، لذلك أمضوا فترة الثلاثين سنة التى كان فيها الانتداب البريطاني مفروضا عليهم يقاومون هذا الوعد المشئوم والسياسة المنبثقة عنه ، يضاف الى ذلك أن العرب تبينوا منذ اللحظة الاولى أيضا بأن سياسة (الوطن القومى اليهودى) هذه كانت الى حد ما عدوانا استعماريا مستترا يتخفى ليمهد لسيطرة الاستعمار على الشرق الاوسط ، ولا سيما فيما يتصل بحماية الطريق الى الهند .

جرى كل ذلك على الرغم من الوعود المتكررة التى قطعت للعرب خلال الحرب العالمية الاولى وعلى الرغم من النقاط الاربعة عشرة التي أذاعها المرحوم الرئيس ويلسون والتى كانت حينئذ واسعة الانتشار ومعتبرة كميثاق عالمي للسلم . وقد تأيد الرأي ان اسرائيل انشئت لتكون سندا للعدوان الاستعماري تأييدا قاطعا عندما وقع الهجوم الثلاثي على قناة السويس عام ١٩٥٦

وليس هذا كل ما تمثله اسرائيل فهي أيضا تمثل الصهيونية السياسية التى يعتبرها العرب وكثير غيرهم أيضا بما في ذلك بعض اليهود ، حركة استعمارية عدوانية ذات فروع في سائر أنحاء العالم تهدف الى التوسع والسيطرة .

ان الصهيونية السياسية حركة تختلف تماما عن الصهيونية الروحية ، وقد عجز عن التمييز بينهما عدد كبير من المسيحيين الغربيين البسطاء ذوي النيات الحسنة وبذلت في الواقع جهود متواصلة لاستمرار هذا الالتباس بينهما وقد نتج عن ذلك تأييد قسم كبير من المسيحيين الغربيين

لعدوان الصهيونية السياسية على فلسطين .

ليست هذه هي المرة الاولى في التاريخ التي تقرر فيها فئة من اليهود تبني الصهيونية السياسية بدلا من الصهيونية الروحية ، أما نحن المسيحيين فى الشرق الاوسط ، فنعتبر هذه الفئة من اليهود قد أخطأت في اختيارها وأساءت فهم دورها في التاريخ اساءة تامة . فبدلا من أن تقبل المسئولية الكبرى التي ألقيت على عاتقها بوصفها شعب الله المختار فتتمسك بأسمى المبادىء الاخلاقية ، انحرفت فأصبحت الشعب المدلل لاله تزعم وتعتقد انه يحب ذبح الابرياء من الرجال والنساء والاطفال في سبيل انشاء دولة سياسية له .. ليس هذا هو الهنا ، كما أن الدولة التي أنشأتها اسرائيل ويعتز بها شعبها ، ليست من صنع الهنا .

وعلى الرغم من النتائج المضرة التي ترتبت على الصهيونية السياسية فلا تزال المعاذير الانسانية والدينية تستخدم لتأييد عدوانها في فلسطين ، فيقال ان شعوبا مختلفة اضطهدت اليهود ، فأصبح من الضروري لذلك أن يعطوا وطنا يكونون فيه بمأمن من الاضطهاد ، ولئن كانت هذه الفكرة تبدو انسانية ومقبولة لوحدها، ولكن عندما ندرك أن تحقيقها ادى الى معاقبة مليون من السكان الابرياء معاقبة قاسية مع انهم لم يكونوا يوما مسئولين عن هذا الاضطهاد الذى وقع على اليهود ، كما أدى أيضا الى حرمانهم من أراضيهم وأملاكهم وطردهم فى النهاية الى خارج ديارهم ووطنهم ، عندما ندرك كل ذلك يغدو جليا أن الشعور الانساني الذى تطلى به الفكرة الصهيونية دوما ، ليس الا عذرا تستتر به قسوة فظيعة وعدوانا شنيعا .

هناك بعض المسيحيين الذين يدعون بأن التوراة قد وعدت ابراهيم بأن تكون فلسطين ملكا لذريته أي لليهود ، وبذلك يؤكدون بأن قيام دولة يهودية فى فلسطين ليس الا وفاء لوعد الله فى التوراة . لقد سبق لي أن عالجت باختصار الناحية الروحية لهذا الادعاء . أما بالنسبة لصحته ومشروعيته فليس فى نيتي أن أدخل في نقاش حول ذلك ، لان ثمة علماء فى التوراة ذائعي الصيت قادرين على أن يبينوا من التوراة نفسها ان الوعد قد أصبح غير قائم وان العرب على كل حال هم أيضا من ذرية ابراهيم ، ولكن ما أرغب في الاشارة اليه بالنسبة الى هذا الموضوع ، هو أن المسلمين الذين كانوا يشكلون أغلبية سكان فلسطين أي أكثر من خمسة وثمانين بالمئة منهم لا يؤمنون بهذا الوعد ، ومن الواضح انه اذا ما استغل الدين في أي وقت كان لتبرير عدوان شعب ضد شعب اخر مختلف عنه في معتقداته الدينية ، عندها لا بد من اعتبار العدوان حربا دينية ، وفي هذه الحالة يغدو جليا ان ما حدث هو حرب دينية ضد المسلمين ، ويمكننا أن نسميها حربا صليبية وقف اليهود فيها في الصفوف الامامية بينما وقف المسيحيون الغربيون في الخطوط الخلفية . انكم نادرا ما تسمعون المسلمين يشيرون بصراحة الى هذا المظهر من القضية ولعل من الممكن أن تسمعوا من باب المصادفة هذه الملاحظة العميقة المغزى. وهي ان اخراج الصليبيين من فلسطين قد احتاج الى كفاح دام مائتي سنة .

ان العوامل السياسية والنفسية والدينية التى سبق أن وصفتها والتي تعتبر مسئولة عن شعور العرب وموقفهم ازاء قضية فلسطين لم تعمل لوحدها ، فسلوك اسرائيل دوما قد جعلهم يدركون ادراكا عميقا طبيعة الصهيونية السياسية

ويتفهمون القيم الاخلاقية للدولة التي أوجدتها ، واليكم مثلا على ذلك ، بينما تنص شريعة موسى على أن العين بالعين والسن بالسن ، فان قانون اسرائيل ، كما هو مطبق على العرب ، على الاقل ، قد أتاح لقواتها المسلحة تدمير قرية بكاملها وذبح سكانها الابرياء بما في ذلك الرجال والنساء والاطفال ، استنادا الى زعم أو شبهه في أن رجلا من تلك القرية قد قتل يهوديا . ومهما كانت أغراض الاسرائيليين من ارتكاب هذه الفظائع كما فعلوا في قبية ، فان هذه الفظائع لن تساعد على تلطيف الشعور نحو اليهود ، ولعل اليهود لا يرغبون في أن يتم أي تحسن في هذه المشاعر اذ أن بعض المفكرين يعتقدون بصورة جدية بأن اسرائيل لا تستطيع البقاء الا اذا استمر التوتر الاسرائيلي العربي قائما ، فهم يرون لذلك بأن اسرائيل انما تسلك هذا السلوك عن قصد وتدبير لكي يبقى هذا التوتر قائما ، ولكنها تخفي نواياها هذه بعروض مزيفة متكررة للصلح .

ان ما قلته حول أصل القضية وطبيعتها كاف لشرح المشاعر التي ولدتها من حيث النوعية والعمق ، كما انه يوضح الاسباب التي من أجلها لا يستطيع الزمن أن يشفي الجروح التي خلفها هذا الظلم ، ولكي تكمل الصورة اللازمة للتفكير السليم حول هذه المشكلة ، فانني سأصف بايجاز مقدارها المادي ، وانني أعتذر مقدما لاضطراري الى عرض هذه المعلومات بلغة الارقام الجافة التي لا يستسيغها أغلب الناس ولا سيما الدبلوماسيون .

عندما بدأ تطبيق سياسة (الوطن القومي اليهودي) بموجب تصريح بلفور بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، كان سكان فلسطين كما سبق لي أن ذكرت ستماية وخمسين ألف عربي وستة وخمسين ألف يهودي تقريبا . أي أن نسبة السكان العرب كانت اثنين وتسعين بالمائة ونسبة السكان اليهود ثمانية بالمائة فقط ، أما نسبة ما كان يملكه اليهود من الارض فلم تكن أكثر من ٢٪ .

وعندما اتخذت الامم المتحدة عام ١٩٤٧ قرارها بتقسيم فلسطين كان قد ارتفع عدد السكان اليهود ، خصوصا عن طريق الهجرة الشرعية وغير الشرعية ، الى حوالي ستمائة وخمسين الف وارتفع عدد السكان العرب بالزيادة الطبيعية الى حوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألف ، وهذا يعني انه في الوقت الذى أقر فيه التقسيم كانت نسبة العرب سبعة وستين ونصف بالمائة ،وكانت نسبة اليهود اثنين وثلاثين ونصف بالمائة ، كما ان الملكية العقارية اليهودية ، كانت قد ازدادت بالشراء حتى بلغت خمسة وستة أعشار بالمائة (٥٫٦٪) من مجموع مساحة الاراضي ، أما قرار التقسيم فقد وزع البلاد كما يلي :

أ ـ أعطى الدولة اليهودية ستة وخمسين بالمائة (٥٦٪) من مجموع الاراضي أي أكثر من عشرة أضعاف مما كان يملكه اليهود منها .

ب ـ أعطى الدولة العربية اثنين وأربعين بالمائة (٤٢٪) فقط من المنطقة على الرغم من أن العرب كانوا يشكلون آنئذ (٥٫٦٧٪) سبعة وستين ونصف بالمائة من السكان ويملكون معظم الاراضي في البلاد .

ج ـ وضع (٤٩٧٫٠٠٠) أربعمائة وتسعون ألف عربي يمثلون (٣٧٪) سبعة وثلاثين

بالمائة من السكان العرب تحت سيطرة الدولة اليهودية (ومما تجدر الاشارة اليه ان الغرض من المذابح التى اقترفها اليهود كان لارغام العرب على الهرب من البلاد .)

د ـ أوجد منطقة دولية تشتمل على القدس ومنحها أقل من (٥ر٦) في الالف من مجموع المساحة .

ان هذه الارقام تتكلم بنفسها ولا يحتاج المرء الى ذكاء خاص ليكتشف الظلم الفاضح الذى اشتمل عليه قرار التقسيم . وقد أخذ القرار المذكور على الرغم من احتجاج عرب فلسطين العنيف يؤيدهم سائر العرب وكثير غيرهم أيضا، وكم من مرة يذكرنا هذا التقسيم بما فعله الحكيم اليهودي القديم الملك سليمان ، عندما تظاهر برغبته في شطر الطفل الذى كانت تدعيه امرأتان متنازعتان الى شطرين ، لم يعترض على هذا القرار سوى الام الحقيقية وحدها .

وبالرغم من كل هذا فقد قيل للجنة في هذه الدورة بأن اليهود انما قبلوا بالتقسيم كحل وسط فقط ، ويبدو انهم كانوا طامعين بأكثر من ذلك ، ولعلهم فى الواقع كانوا يودون امتلاك البلاد بأجمعها كالام المزيفة التى رغبت في الحصول على الطفل بأكمله ، ثم قبلت بنصفه كحل وسط فحسب .

ان المرء ليستغرب ان يتوقع اليهود المزيد من فلسطين مع انهم منحوا عشرة أضعاف ما كانوا يملكونه منها .

لقد قيل أيضا بصورة غير مباشرة بأن على العرب أن يقبلوا بالظلم بقلوب تفيض امتنانا والسنة تسبح حمدا وشكرا ، وقد وجه اليهم اللوم بسبب مقاومتهم للظلم لانهم لو لم يفعلوا ذلك على حد قولهم (لما كانت هناك قضية اللاجئين العرب) .ان هذه الحجة تستند الى مقدمات خاطئة ، أما الحقيقة . فهي ان اليهود لو أنهم لم يطمعوا بفلسطين ولم يأتوا ضد رغبة سكانها وتحت حماية الحراب الاجنبية ، لما كانت هناك قضية اللاجئين أو أية قضية أخرى ، وعلى كل حال فهل اذا قاوم العرب الظلم الصارخ أصبح من حق اليهود أن يعاقبوهم بمضاعفة هذا الظلم وسلب المزيد من أراضيهم وتشريدهم من بلادهم ؟

هذا هو المنطق الاعوج الذى تواجه به اسرائيل الامم المتحدة ، وتنتظر من المنظمة أن تؤيده بالعمل أو بالكف عن العمل ، والان نستطيع أن نوجز النتيجة النهائية لكل ما حدث بما يلي :

أ ـ أصبح مليون من العرب الابرياء لاجئين .

ب ـ استولت اسرائيل على (٦٠٪) ستين بالمائة من الاراضي المخصصة في الاصل للدولة العربية ، وذلك بالاضافة الى النسبة الكبيرة غير المشروعة التى خصصت لاسرائيل بموجب قرار التقسيم ، مما يجعل الاراضي التى تحتلها (٤ر٧٤٪) أربعة وسبعين وأربعة أعشار بالمائة من مجموع مساحة فلسطين ، فلنقارن هذه النتيجة بما كان عليه الوضع عام ١٩١٨ عندما كانت نسبة عدد السكان اليهود آنئذ (٨٪) ثمانية بالمائة من مجموع السكان . وان ما يملكونه من الاراضي (٢٪) اثنين بالمائة فقط ، فهل يستطيع أى رجل حر شريف أن يقول فعلا بأن حقوق عرب فلسطين قد نالت حقها من الحماية كما نص على ذلك تصريح بلفور وصك الانتداب البريطانى الذى استند اليه ؟ .

ليس من العسير أن يكون المرء حكيما بعد وقوع الحوادث ، لذلك فان لي عظيم الامل بعد مرور هذه المدة الطويلة التي دامت اثني عشر عاما أن تميز اللجنة الكريمة الحق من الباطل ، فى هذه القضية ، لهذا أود يا سيدى الرئيس أن أطرح سؤالا بسيطا على كل من المندوبين الحاضرين الاكارم – هل يقبل هو أو حكومته أو شعبه راضين أو غير راضين ، المعاملة التي عومل بها عرب فلسطين ؟ انني لا أتوقع جوابا مباشرا ولكنني آمل أن يجيب كل مندوب نفسه وحكومته باخلاص ·

أنتقل الان الى الموضوع الاساسي الذى تعالجه اللجنة وهو مسألة الاغاثة ·

أرى من واجبي أن أبدأ بتوجيه شكري العميق الى سائر الحكومات التى اشتركت في تخفيف بؤس اللاجئين وآلامهم ، فلولا مساعدتهم لوقعت كارثة انسانية لم يسبق لها مثيل ، ويجب أن يتجه شكري أيضا الى سائر المؤسسات الخيرية التى ساهمت بالتبرع لهذه الغاية وإلى جميع الافراد الذين قدموا تبرعاتهم وخدماتهم الشخصية لزيادة المعونة المقدمة للاجئين ، اذ كانت هذه التبرعات ضرورية بالنسبة اليهم كالمعونة الاساسية نفسها ·

وأخيرا أوجه شكري الى وكالة الغوث التي قامت بالعمل الذى عهد اليها به بكفاءة ونزاهة. اننا ندين الى مديريها السابق والحالي بالامتنان وعرفان الجميل · لقد استلم المدير الحالي الدكتور ديفز عمله منذ مدة قصيرة نسبيا ،ولكنه أقام الدليل على انه ليس اداريا من الطراز الاول فحسب بل انسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، يجمع الى القدرة على تفهم الحاجات الانسانية الحقيقية ، الرغبة فى تلبيتها ·

ان اهتمامه الشديد بالناحية التربوية من برنامج اللاجئين لدليل واضح على حكمته وبعد نظره ، واننا لعلى ثقة من انه سيبذل أفضل ما يمكن عمله في حدود الامكانيات الموضوعة تحت تصرفه ·

سيدي الرئيس :

ليس هناك أكثر ايلاما للنفس من أن يكون المرء معتمدا على المعونة لتأمين حاجات حياته الاساسية ، ويلي ذلك فى الايلام الاضطرار الى طلب هذه المعونة ، ولذا فانني أقوم الان بهذا الواجب مرغما دون أن تخالج قلبي مسرة أو كبرياء ·

لم يعرف عن الفلسطينيين العرب قط أن اعتمدوا على الاغاثة ، لقد كانوا دوما يتدبرون أسباب حياتهم ، نعم كانت حياة بسيطة ولكنها كانت حياة شريفة أيضا وعلى هذا تكون الاغاثة فى نظرهم ونظر حكومتي شرا لا بد منه ، ولعل من المؤسف أن يظن بعض الناس بأن الحكومات العربية ليست مهتمة بحل قضية اللاجئين ، لانها راغبة في زعمهم في أن تستخدمها لاغراض سياسية · ما أبعد هذه الافكار عن الحقيقة واذا ما نشرت بنية سيئة تغدو عندها مؤذية ايذاءا اجراميا ، فاللاجئون أنفسهم بادىء ذي بدء ، يرفضون أي توطين خارج حدود بلادهم ولكم أن تتأكدوا من هذا الموقف بالرجوع الى تقارير مديري الوكالة ، أو بزيارة مخيمات اللاجئين اذا ما رغبتم ذلك · وبالاضافة الى هذا كله فانني أؤكد لكم بأن حكومتي تعتبر النتائج السيئة للاعتماد على المعونة ، نكبة كبرى تساوى النكبة التى ترتبت عليها خسارة الديار والوطن ، لذلك

لم تأل حكومتي جهداً في تزويد اللاجئين بفرص العمل ، حتى ولو أدى ذلك الى خلق بطالة بين غير اللاجئين ٠

دعوني الان أروي لكم قصة كلمة (تشغيل) في الاسم الكامل للوكالة ٠

عندما زارت بعثة كلاب الاردن في منتصف عام ١٩٤٩ كانت هناك دائرة خاصة تحت اشرافي كوزير في الدولة ترعى أمور اللاجئين ، فأتيح لي أن أبحث القضية بأسرها مع المستر جوردون كلاب نفسه ، وقد تم الاتفاق على ادراج كلمة تشغيل ليس من أجل توطين اللاجئين بل لمساعدة بلد فقير يحمل عبئا ثقيلا بسببهم ولاجتناب الشرور المترتبة على منح الاغاثة للقادرين على العمل ٠

وبناء على ذلك شرع في تنفيذ برنامج يؤمن الغرضين المشار اليهما ، وقد اقتصر هذا البرنامج الذى دام فترة من الوقت على تعبيد الطرق ولكنه أوقف بعد مدة لان الاموال اللازمة لم تكن متوفرة كما انه وجد أن تقديم الاغاثة أقل كلفة من تأمين العمل ٠ ولا تزال الحكومة الاردنية راغبة في استبدال الاغاثة بالعمل بقدر الامكان ، وقد بينت بما فيه الكفاية من الاسباب التي تجعل اسكان اللاجئين الفلسطينيين فى الاقطار العربية الاخرى غير عملي وغير مقبول ٠ اذ يجب أن يعودوا الى بلادهم الاصلية عاجلا أو آجلا ، وبالطبع كلما كانت عودتهم أسرع كان ذلك أفضل ٠

أعتقد انه لا حاجة لتكرار ما قاله السكرتير العام ومدير وكالة الغوث حول ضرورة استمرار الاغاثة ، فاذا كان ثمة ما يجب قوله حول هذا الموضوع ، فينبغي أن ينحصر في ضرورة زيادة مبلغ المعونة ، اذ انكم تعلمون بأن ما ينفق على كل لاجيء ثمنا لطعامه ومأواه وسائر الخدمات الاخرى لا تتجاوز تسعة سنتات يوميا ، فاتخاذ هذا المبلغ الضئيل وسيلة للضغط السياسي في اتجاه معين غير انساني وغير حكيم فى نظر حكومتي ٠

أما رغبتنا في تمديد حياة وكالة الغوث ، فتهدف الى تأمين الوقت الكافي للتحري عن أفضل السبل لتنفيذ مقررات الامم المتحدة . وسيكون هذا التحري عديم الجدوى اذا لم تكن الدول الممسكة بمفتاح القضية ، مصممة على عمل شيء ايجابي بشأنها ، وعندما تفعل ذلك، عليها أن تسترشد بالحق والعدالة ، وأن تقصي أية اعتبارات أخرى من حسابها ٠

لقد قدم زميلي الكريم المندوب السعودي اقتراحات بسيطة وسهلة التنفيذ ، لا مجال للجدل فيها ولا حاجة لتكرارها ٠ اننا نؤيد هذه المقترحات تأييدا كاملا كخطوة عملية أولى ٠

سيدي الرئيس :

لقد كانت الخسائر حتى الان من جانب واحد ، وكانت الالام من جانب واحد وكان الظلم واقعا على جانب واحد فقط ، وفي الوقت نفسه وجه الضغط السياسي دوما ضد الطرف نفسه الذي مني بالخسائر واحتمل العذاب وعانى الظلم ، ولا بد للمرء أن يتساءل أما آن لهذه السياسة المتحيزة لطرف واحد أن تتبدل ؟

ان مليون عربي من اللاجئين الابرياء الذين يعيشون في أوضاع سبق لنا وصفها لا يتوقعون في نهاية هذه الدورة أن يقال لهم بأن برنامج الاغاثة قد مدد فحسب ، بل يتوقعون أن يسمعوا

بأن الامم المتحدة قد أدركت خطأها وأمسـت راغبة في اصلاحه وفي اعادة العدل الى نصابه، فهل لنا أن ننقل اليهم هذه البشائر ؟ ان أيـة خطوة تتخذ في الاتجاه الصحيح ستكون نصـرا للعدالة ونصرا للحق على الباطل ٠

سيدى الرئيس :

ليس خطابي اليوم الا محاولة للتذكير بالظلم الذى خلفته قضية فلسطين ، وشرحا للعناصـر التي التي جعلت هذه القضية مختلفة عن كـل قضية أخرى ، وتلخيصا للعوامل التي تكمـن وراء المشاعر التى ولدتها القضية وأثارتها ٠

ولما كان هناك الشيء الكثير مما يمكن قولـه حول هذا الموضوع ، فانني أحتفظ بحق العـودة الى الكلام من جديد كلما وجدت ذلك ضروريا ٠

وشكـرا ٠

رد على غولدا مئير

الخطاب الذى ألقاه معالي وزير الخارجيـــة فى اللجنة السياسية في هيئة الامم المتحـــدة عام ١٩٦٠ ردا على جولدا مئير مندوبة اسرائيل

موسى ناصر رئيس الوفد الاردني الى الامم المتحدة سنة ١٩٦٠
يجري مشاورات مع اعضاء الوفد الاردني واللبناني

سيادة الرئيس :

أود ان استميحكم عذرا ، قبل كل شـــيء لاضطراري الى أن أفرض على الجمعية الاستمـــاع الى خطاب اضافي أرد فيه على بعض البيانـــات المتعلقة بقضية فلسطين التي أدلت بها هنـــا السيدة غولدا مئير من اسرائيل ٠

نشأت قضية فلسطين ونمت وترعرعت الى الان ، وراء حجاب كثيف من الضباب يتألـــف من تشويه للحقائق وتحريفها نما بمهارة ومكـر بالغين حتى أن الدول الاستعمارية التى لعبـــت الدور الحاسم في خلق القضية كانت تضطـــر دوما الى الاعتماد على هذا التشويه ليلفق لهـــا الحجج التي تؤيد سياستها ازاء اسرائيل ٠ ومن

الواضح انه لا يمكن حل القضية ما لم يتلاشى الضباب لكي تبدو الحقائق واضحة جلية ، لذلك فان الهدف الذي أرمي اليه من القاء هذه الكلمة اليوم ، هو تصحيح لبعض البيانات المحرفة التي ادلي بها هنا أمامكم منذ بضعة أيام · واني أرجو ان يكون هذا التصحيح نهائيا فلا أضطر الى العودة اليه ·

تتساءل السيدة مئير وهي تشير الى الخطأ في الشرق الاوسط الذى ذكره المندوبون العرب وتقول « والان ما هو الخطأ في الشرق الاوسط الذى يرغب بعض المندوبين العرب في تصحيحه· هل يعتبرون وجود دولة يهودية مستقلة في تلك المنطقة حادثا عارضا أو بدعة » ؟

أما جوابنا على هذا السؤال فهو في غاية البساطة والوضوح معا · ان خلق دولة يهودية فى الشرق الاوسط لم يكن سوى عدوان استعمارى مقنع ولذلك يعتبر وجود تلك الدولة خطأ · أفليس خطأ أن يستأصل شعب من أرضه ودياره التى عاش هو وأجداده فيها طوال قرون عديدة من أجل انشاء دولة يهودية عليها لغزاة قدموا اليها من جميع أنحاء العالم استنادا الى حجة تافهة هي أن اليهود استوطنوا هذه البلاد مدة يسيرة من الزمن قبل ألفي سنة خلت ؟ هذا هو الخطأ الذى يبدو أن الصهاينة ومؤيديهم ومشايعيهم لا يستطيعون ادراكه ، أو هم لا يريدون التسليم به ان هذا لاكثر بكثير من الخطأ· فهو ظلم بالغ الخطورة انزل بعرب فلسطين الابرياء المسالمين الذين لم يشتركوا يوما ولم يشتركوا اخوانهم عرب الاقطار الاخرى خلال تاريخهم الطويل في أى تمييز عنصري ضد اليهود أو في اضطهادهم واذلالهم · وهي أمور شكت منها السيدة مائير مر الشكوى في خطابها عندما قالت :ـ « مذابح ، كراهية ، اذلال ، تمييز عنصري · هذا ما كان نصيبنا · »

نعم لم يرتكب العرب قط أية فظائع بربرية ضد اليهود · ولكن هذه الافعال وهي تشبه ما ارتكبته النازية من آثام ـ قد أنزلها اليهود جميعها بالعرب كجزء من الظلم الذى أشرت اليه ·

اسمحوالي بأن أصف بايجاز طبيعة هذا الظلم ومداه بغية افادة الاعضاء الذين انضموا الى الامم المتحدة فى هذه السنة · لقد كانت السياسة التى اتبعت في فلسطين العربية في ظل الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، تستهدف تأسيس دولة يهودية في فلسطين · وكانت تتستر هذه السياسة في مراحلها الاولى وراء عبارة « وطن قومي لليهود » التى لا يعرف أحد معنى لها · ولا أرى حاجة للتعرض الى ما انطوت عليه هذه السياسة من نكث للوعود التي قطعها الحلفاء المنتصرون لزملائهم فى السلاح من العرب · واكتفي بالاشارة الى انها كانت منافية لحقوق الانسان الاساسية ومخالفة لرغبات سكان فلسطين الذين كان عددهم آنئذ ستماية وخمسين ألفا من العرب المسلمين والمسيحيين وقرابة ستة وخمسين ألفا من اليهود الذين كان معظمهم من أصل عربي ، وهكذا فقد كانت النسبة المئوية اثنتين وتسعين بالمائة عربا وثمانية بالمائة يهوديا · وكان اليهود حينئذ يملكون نحو اثنين بالمائة من مجموع مساحة البلاد ·

عندما اتخذت الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ كان عدد السكان اليهود قد ارتفع بالهجرة التى فرضت على العرب

بالقوة ، الى ما يقرب من (٦٥٠) ألفا بينما كان عدد السكان من العرب قد ازداد بطريق النمو الطبيعي فبلغ نحو مليون وثلاثماية وخمسين ألفا ، وهكذا كان العرب حين صدور القرار المذكور يشكلون ما يزيد عن ثلثي السكان . أما نسبة عدد اليهود فكانت دون الثلث . وقد ازدادت الاراضي التى كان يملكها اليهود وقتئذ فبلغت خمسة وستة أعشار بالمائة من مجموع المساحة . ولقد ضرب قرار التقسيم بهذه الحقائق كلها عرض الحائط ، فاعطي الدولة اليهودية ما ينوف عن (٥٦) بالمائة من مجموع مساحة البلاد أي أكثر من عشرة أضعاف ما كان اليهود يملكون من أراضي بينما اعطيت الدولة العربية أقل من (٤٤) بالمائة فقط .

ان الارقام هذه لتتكلم بنفسها ولا يحتاج المرء الى ذكاء خاص لادراك مبلغ الظلم الذى انطوى عليه قرار التقسيم الذى تبنته الامم المتحدة على الرغم من احتجاجات عرب فلسطين العنيفة التى أيدهم فيها العرب جميعا وكثير من الامم الاخرى أيضا . أما الضغط السياسي الذى استخدم لضمان اتخاذ القرار فمعروف جيدا .

لم يكن في استطاعة أى انسان عاقل قبول مثل هذا القرار الظالم . وعندما قاومه عرب فلسطين تخيل اليهود أن من حقهم مضاعفة هذا الظلم بالاستيلاء على المزيد من أملاك العرب . فكانت نتيجة هذا كله ، ان اليهود احتلوا اربعة أخماس البلاد وأن مليونا من العرب الابرياء قد طردوا من بلادهم وديارهم وأصبحوا لاجئين .

ولنقارن هذا الوضع بالوضع الذى كان عام ١٩١٧ عندما كان اليهود يشكلون ثمانية بالمائة من نسبة عدد السكان ويملكون اثنين بالمائة من مجموع مساحة الاراضي . هذا هو مقدار الظلم الذى وقع على عرب فلسطين بقوة السلاح ، وهذا هو الخطأ الذى يأبى الصهيونيون ومؤيدوهم أن يسلموا به .

غير ان هذا كله لم يكن سوى المظهر المادى للظلم الذى حصل وينبغي ان تضاف اليه الاضرار النفسية التي نتجت عن فقدان الطمأنينة والكرامه واضعاف المعنويات بسبب البطالة المتفشية وازديادها المستمر . وعن المرارة التى ولدها معاقبة العرب الابرياء على جرائم ضد اليهود ارتكبها غيرهم في بلاد غير عربية .

ويجدر بي أن أذكرفي هذا المقام ان العرب كانوا قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها وقبل فرض الانتداب البريطانى على فلسطين ، يعيشون سعداء مع اليهود فكان اليهود جميعا يتكلمون العربية ، وكانوا فى الواقع يعتبرون أنفسهم عربا من سائر الوجوه فنحن على كل حال اخوان فى الانسانية وكلانا فضلا عن ذلك ينتمي الى نفس العنصر السامي . ولقد أظهر العرب دوما عطفهم على اليهود الذين اضطهدوا في أجزاء أخرى من العالم ، وأعربوا عن تأثرهم لحالهم . وعندما كان يأتي بعضهم الى فلسطين أو الى الاقطار العربية الاخرى كانوا يستقبلون بترحاب ولطف ورضى . وحتى خلال الحرب العالمية الثانية عندما طلب الى جلالة الملك محمد الخامس عاهل مراكش العربية بعد أن وقع تحت نفوذ النازية وسيطرتها ، عندما طلب اليه فصل اليهود عن غيرهم رفض أن يفعل ذلك بنبل واصرار وأجاب بأن من حق سائر المواطنين المراكشيين أن يعاملوا معاملة متساوية .

وعلى الرغم من هذا الموقف الكريم وهـــذه الشهامة في المعاملة ، نجح الصهيونيون أخيـرا بفضل دعايتهم الكاذبة التي ثابروا على ترويجها ، فى تضليل وخداع عدد كبير من اليهود واقناعهم بترك أوطانهم القومية الحقيقية التي نشـــأوا وترعرعوا فيها والذهاب الى اسرائيل . واننـا نعتقد بأن هؤلاء اليهود قد ندموا على ما فعلوا .

ان هذه العلاقات الطيبة التى كانت سائـدة دوما بين العرب واليهود هي التي تجعل العدوان اليهودى على عرب فلسطين مثلا مؤلما لنكـــران الجميل ومأساة محزنة في العلاقات الانسانيـــة، الامر الذى يحملنا على أن نتساءل :ـ هل كـــان تأسيس دولة يهودية في فلسطين مفيدا للعالـم وهل كان يستحق هذه التضحية الجسيمة بالسلم العالمي وبالعلاقات الودية بين الدول .

ومن أشد ما يبعث على الحزن في هذه المأساة هو أن لا تعترف بظلم واضح كل الوضوح فئـة ذكية من الناس كاليهود الذين يفخرون بتاريخهم وتوراتهم وبتعاليمهم الاخلاقية . فيتساءلـون متجاهلين ما هو الخطأ الذى ارتكبناه ؟ ان هـذا التعامي عن الخطأ لهو أصل البلاء في القضيـة الفلسطينية . فما داموا يتمسكون بهذه المواقف، وما دام الباطل يسمى حقا ، وما دامت حقـوق ومصالح مليون من البشر يضحى بها على مذبـح أغراض الاخرين السياسية لا يمكن ايجاد حـل لقضية فلسطين ، وبالتالي لا يمكن اقامة سلـم حقيقي في الشرق الاوسط .

على أن الصهاينة لا يكتفون بعدم الاعتـراف بالعدوان بل انهم على العكس من ذلك يتمادون في مزاعمهم فيدعون بأن العرب أنفسهم هـــم المعتدين فى فلسطين واليكم ما جاء في بيـــان السيدة مئير :

« ان العدوان العربي فى فلسطين ضـــد اسرائيل والامم المتحدة لهو السبب الوحيد فـي وجود قضية اللاجئين » .

ما أبعد هذا القول عن الصدق وما أقربه الى الرياء والنفاق .

فالحقيقة الواقعة هو انه لو لم يطمع اليهود بفلسطين ولو لم يأتوا اليها رغما عن ارادةسكانها وفي حماية الحراب الاجنبية وكأعوان للاستعمار وأدوات له ، لما كان ثمة قضية لاجئين فـــي فلسطين على الاطلاق .

ولكن هل نحن حقا على صواب في ربطنـــا اسرائيل بالاستعمار . اليكم الوقائع بايجاز :ـ

أولا ـ جاء اليهود الى فلسطين بعد الحـرب العالمية الاولى فى حماية القوات العسكريـــة البريطانية .

ثانيا ـ كانت الحجة الرئيسية التـــي استخدمها زعماء الصهاينة في اقناع الحكومـة البريطانية بتأييد انشاء دولة صهيونية فـــي فلسطين العربية هي امكانية استخدام هـــذه الدولة كقاعدة لحماية الطريق الى الشرق الاقصى التى تعتبر شريانا هاما فى المواصلات البريطانية. هذا ما ثبت ابان العدوان الثلاثي على مصـــر الذى اشترك فيه البريطانيون والفرنسيـــون واسرائيل . فالدور الذى لعبته اسرائيل آنئـذ كان هو نفسه الذى أعد لها حتى قبل أن تظهر للوجود .

ثالثا ـ ليست اسرائيل من البلاد التي تتمتع بالاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية فهـــي تعيش على ما يردها من صدقات واحسان وهـــي

مع ذلك تعرض مبالغ ضخمة من المال كقروض لبعض الاقطار المتخلفة . فمن اين يأتي هذا المال؟ لماذا وقع الاختيار على اسرائيل كوسيط بين من يملكون رأس المال ومن يحتاجون اليه . ألا يلمس المرء في ذلك يد الاستعمار المتخفية ؟ فليحذر أشد الحذر أولئك الذين تقدم لهم اسرائيل مثل هذه العروض وليزدادوا حذرا عندما تكون هذه العروض سخية .

لذا كله أرى من واجبي أن أتوسل الى الدول الجديدة التي انضمت حديثا الى الامم المتحدة أن تدرس هذا الموضوع الجدي بعناية قبل أن تمنح تأييدها المعنوي لهذا الجانب أو لذاك . اذ لا يجوز لمن انتصر على الظلم من عهد قريب وتحرر نتيجة لذلك الانتصار أن يؤيد الظلم الاستعماري حيثما وجد في العالم .

أنتقل الان الى نقاط أخرى أثارتها السيدة مئير

لقد أشارت الى اللاجئين العرب وتساءلت « لماذا لم يقم استيعابهم كما استوعبنا اللاجئين عندنا، وكما آوينا ووفرنا العمل لمائتين وخمسين ألفا من العرب الذين يقيمون في اسرائيل الان ؟»

هل يمكن أن يقال عن العرب في اسرائيل شيء أكثر تضليلا وخداعا من هذا القول اذ يتبادر الى ذهن من يستمع الى مزاعم السيدة مئير ان اسرائيل قد كانت فعلا من الكرم والسخاء بحيث آوت هؤلاء العرب وهيأت أعمالا لهم ولكن يجب ان لا ننسى بأن العرب الذين يقيمون في اسرائيل ما هم الا جزء من أصحاب البلاد الحقيقيين . فهم يملكون أراض ودورا وأملاكا أخرى ، وقد اغتصب معظمها اليهود لايواء المهاجرين منهم القادمين من الخارج ولتأمين العمل لهم . وهكذا فالعرب في اسرائيل لا يعيشون بفضل كرم اسرائيل وسخائها بل يعيشون على الرغم مما يلاقون على أيدي اسرائيل من اضطهاد وسوء معاملة . وقد يهم اعضاء هذه الجمعية أن يطلعوا على بعض الاساليب التي تتبعها اسرائيل في اضطهاد العرب ..

أولا ـ مصادرة أملاكهم لافساح المجال لمزيد من المهاجرين اليهود .

ثانيا ـ تحديد تنقلاتهم .

ثالثا ـ ارغامهم على بيع محصولاتهم للحكومة بأسعار أدنى من تلك التي تدفع للمزارعين اليهود .

رابعا ـ سن قوانين للجنسية والاراضي تنكر على المواطنين العرب الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المواطن اليهودي .

خامسا ـ ارهاب العرب بما يشنه الجيش عليهم من عدوان وما يقوم به من تفتيش وحشي لبيوتهم بحجج ملفقة .

لست أود معالجة هذه النقاط . ولكنني أقترح تعيين لجنة تحقيق حيادية للنظر في الاحوال التي يعيش فيها العرب في اسرائيل . اذ من الضروري أن يطلع العالم بأسره على ما يجري في اسرائيل من تمييز عنصري .

وثمة نقطة أخرى أثارتها السيدة مئير فقد أشارت الى قدوم خمسماية ألف يهودي من العراق واليمن ومصر وسورية والاقطار العربية الاخرى خلال الاثني عشرة سنة الماضية . أود أولا ان اعرب عن شكي وارتيابي في صحة هذا الرقم ولكن مهما يكن من أمر ، فانني أود ان أتساءل ، هل كان هنالك أي سبب حقيقي

يدعو هؤلاء اليهود الى النزوح من البلاد العربية. لقد سبق أن قلت بأن العرب كانوا يحسنون دوما معاملة اليهود . وان اليهود الذين لم يغادروا أمكنة اقامتهم في البلاد العربية كانوا ولا يزالون يعيشون سعداء هناك وهم ما زالوا أيضا يتمتعون بالمساواة التامة في الحقوق مع سواهم من المواطنين .

واني أستنتج من الحقائق التى يعرفها الجميع بأن مزاعم اسرائيل حول سوء حالة اليهود القادمين من البلاد العربية ليس لها ما يبررها مطلقا. فلا أتردد لذلك في أن أقترح بأن تقوم اللجنة التي أشرت اليها منذ دقيقة ، بمقارنة الاحوال التى يعيش في ظلها اليهود المقيمين فى البلاد العربية بتلك التي يعيش فى ظلها العرب في اسرائيل .

آتي الان الى ما ذكر عن الجيوش العربية السبعة والادعاء القائل بأن القوات اليهودية لم تكن مستعدة . واليكم ما قالته السيدة مئير :ـ

« كان علينا أن نلاقي الجيوش العربية السبعة المغيرة علينا عزلا من السلاح تقريبا » .

لقد ربح اليهود الحرب الان ولذلك فنحن مرغمون على الاستنتاج بأنه اما أن يكون هذا البيان كاذبا ، أو ان معجزة قد وقعت فمكنت فئة عزلاء من الناس من قهر سبعة جيوش .

أمامي الان نص نشرة للقيادة البريطانية رقمها (٦٨٧٣) ومؤرخة في ٢٤ تموز سنة ١٩٤٦ أى قبل الحوادث التى نحن بصددها بعشرين شهرا . هذه النشرة تعطي ارقاما دقيقة عن المنظمات العسكرية الثلاث في فلسطين غير المشروعة . وهي الهاجاناه والبالماخ والارغون زفاى ليومي . وهذه المنظمات حسب ما ورد في هذا البيان كان موجودا تحت قيادتها (٦٧) ألف مسلح تسليحا كاملا . نستطيع الاطمئنان لذلك بأن ما جاء في بيان السيدة مئير في هذا الشأن ، لا يتفق مع الوقائع ، وان المعجزة والحالة هذه لم تحدث .

انتقل الان الى ادعاء اسرائيل الذى أشارت اليه السيدة مئير وهو أن العرب قد هجروا بلادهم باختيارهم نزولا عند طلب زعمائهم .

قالت :ـ « وحينئذ جاءت الدعوة من زعماء العرب الى السكان العرب في اسرائيل بمغادرة البلاد حالا . »

ولكى أشرح لكم السبب الحقيقي الذى حدا بالعرب الى ترك بلادهم سأورد الفقرة التالية من كتاب « جندي مع العرب » الذى أصدره الجنرال البريطاني جون باجوت كلوب . ولا أرى أفضل منها لتكذيب مزاعم اليهود فى هذا الصدد .

كان ضابط بريطاني كبير فى الجيش العربي فى أحد أيام شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٧ يقوم بزيارة حاكم لواء بريطاني في فلسطين . وكان حاضرا أيضا قائمقام يهودى يعمل تحت اشراف هذا الحاكم . وكانوا يتعاطون الشراب في المساء . وكان مشروع التقسيم الذى أقرته الامم المتحدة قد أعلن من عهد قريب . فسأل الضابط البريطاني الموظف اليهودى عما اذا كانت الدولة اليهودية الجديدة سوف لا تواجه من الصعوبات الداخلية بالنظر الى مساواة السكان العرب الذين سيلحقون بالدولة اليهودية بعدد اليهود فيها . فأجاب الموظف اليهودي بالنفي وقال ذلك ما سنعالجه بقليل من المذابح المدبرة التي تمكننا من التخلص منهم بسرعة » .

لقد تمت هذه المذابح المدبرة واضطر العرب الى هجر بلادهم ·

تأتي الان الى أحد المزاعم الاسرائيلية الخيالية التى اعتادت اسرائيل نشرها · والتي جاءت فى بيان السيدة مئير بقولها :-

« هل ازدهرت الصحراء فى اسرائيل طوال وجودنا فى المنفى ؟ هل غطت الاشجار جبال اليهودية ؟ وهل جففت المستنقعات ؟ كلا فالصخور والصحراء والمستنقعات والملاريا والتراخوما ، هذا ما كانت تتميز به البلاد قبل أن نعود » ·

ليست هذه هي المرة الاولى التى نستمع فيها الى هذه المزاعم الطائشة حتى ان لهجتها توحي بأن الصحراء كانت مزدهرة قبل ألفي عام مضت عندما كان اليهود هناك ، وانه توقف ازدهارها طوال المدة التي عاش فيها اليهود بالمنفى ما أسخف هذا القول أما الحقائق فهي كما يلي :-

كانت فلسطين معروفة بأنها أرض اللبن والعسل قبل أن تكون لليهود صلة بها · وعندما وصل اليهود اليها لاول مرة دهشوا لرؤية الاحجام الكبيرة لقطوف العنب الذى كانت تنتجه البلاد ، كل هذا عرفناه من التوراة اليهودية نفسها ·

أما فى التاريخ الحديث · فكان عرب فلسطين يعيشون فى الغالب على نتاج أراضيهم من الحبوب والخضار والزيتون والبرتقال والعنب وسواها من الثمار · فالبرتقال اليافاوي الشهير مثلا ما هو الا برتقال عربي لا يهودي · وكان الناس يكدحون من أجل تأمين معيشتهم ولكنهم كانوا سعداء فلم يسمع قط عن عرب فلسطين أن أيديهم امتدت بطلب الصدقة والاحسان من أحد · وكانت تنمو موارد البلاد بالتدريج على أيدي أصحابها وبالسرعة التى كانت تتطلبها الضرورة · لقد كانت «جبال اليهودية» وانا احد سكانها ، مغطاة بالاشجار المثمرة ومعظمها من الزيتون والكروم · وكان العرب وحدهم الذين زرعوها · لقد وجدت بعض الاراضي التي لم يكن قد جرى استغلالها بعد · ولكن هذا كان أمراطبيعيا · هذه كانت هي الحالة فى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولم تكن بالشكل الذى صوره اليهود لكم ·

وعلى اثر انتهاء تلك الحرب شرع اليهود في دخول فلسطين رغما عن ارادة سكانها العرب ، وفقا لسياسة الوطن القومي اليهودي التى سبق ان أشرت اليها · ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك زيادة فى سرعة استغلال موارد البلاد بسبب ما توفر من ازدياد فى المال والرجال · ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ توقفت البلاد عن كفاية نفسها وظلت على هذا الحال منذ ذلك التاريخ الى الان اذ كانت تتدفق الاموال الضخمة على اسرائيل في كل عام · ولا بد من استمرار تدفق هذه الاموال اذا ما أرادت اسرائيل أن تضمن لنفسها العيش · وما ذلك الا لان ما تم فيها من مشاريع مختلفة غير اقتصادية وغير طبيعية · ولهذا فهي تحتاج الى تغذية اصطناعية والى تنفس اصطناعي أيضا · أما ما ورد في مزاعم اليهود بصدد موضوع التراخوما فيحمل على الدهشة حقا · فقد كان فى فلسطين مستشفى وكان فيها عيادة لمعالجة أمراض العيون قامت على تأسيسهما والانفاق عليهما وادارتها جمعية القديس يوحنا البريطانية قبل أن يدخل اليهود فلسطين بزمن طويل · واننا لنعترف بعجزنا عن ايفاء هذه المؤسسة حقها من الثناء على ما أدته وتؤديه فى فلسطين من جليل الاعمال والخدمات

فهي تقدم خدماتها للجميع بالمجان . أما أن ينسب اليهود لانفسهم الفضل الذى نتج عما قامت به هذه المؤسسة القديمة النبيلة فأمر يدعو الى أكثر من الدهشة والعجب .

ولنتساءل بعد كل هذا ماذا وراء مزاعم اسرائيل الكاذبة بالنسبة لموضوع اعمار فلسطين؟ هل يعنون جديا أن يقنعونا ويقنعوا العالم بأن هذا الاعمار يستلزم خلق دولة يهودية مع ما رافقها من مذابح وحشية ولازمها من عذاب لا ينقطع لمليون من البشر ونتج عنها من كراهة عنصرية وتهديد للسلم العالمي . ألا يشبه ذلك احراق بيت سعيا وراء العثور على فلس ضاع فيه ؟ أو هل يعنون عكس ذلك بأن غاية اليهود من انشاء دولتهم انما كانت اعمار فلسطين ؟ عندما كنت طفلا أدرس التوراة كنت اظن بأنه كان لليهود دور فريد نبيل في التاريخ ، وهو انتاج الانبياء ونشر المبادىء الاخلاقية السامية . أليس مما يحمل على التحسر والاسف أن ينزلوا الان الى مستوى الاعتزاز والفخر بفوزهم في انتاج البطاطا بدلا من ذلك . ما أشد الانحدار الذى بلغته المثل العليا ، ويا لضياع هذه الجهود وهذه المقدرة والذكاء في أمور مادية بسيطة .

والان أود أن أشير الى نقطة أخيرة وهو ما دعته السيدة مئير بالمفاوضة من أجل السلام بقولها لنا :ـ

« لقد كنا ندعو جيراننا الى المفاوضة منذ قيام العدوان العربي على اسرائيل لتسوية سائر القضايا المعلقة بيننا بغية عقد صلح نهائي . فكانوا وما زالوا يرفضون تلبية هذه الدعوة » .

يؤسفني أن أقول بأن هذا البيان غير مطابق للواقع ، ففي عام ١٩٤٩ ذهبت الوفود العربية واليهودية الى لوزان حيث تم التوصل الى اتفاق بينهما وقعته الاطراف المعنية وهو ما يعرف ببروتوكول لوزان الشهير . ومع ذلك سحب المندوبون اليهود تواقيعهم فى اليوم التالي وقد اكتشف بعدئذ بأنهم انما كانوا يقومون في لوزان بمناورة ترمي الى تأمين انضمامهم الى الامم المتحدة . كل امرىء يدرك التأثير النفسي الدائم الذى تركته هذه الخدعة .

واسمحوا لي بأن أكرر ما سبق لي قوله وهو انه ما لم تتغير الاتجاهات والمواقف وما لم يسمى الباطل باطلا ، وما لم يعترف اعترافا صريحا بوقوع العدوان والظلم ، وما لم توجد رغبة أكيدة في رفع الظلم الذى انزل بعرب فلسطين فلن يكون هنالك أمل فى حل قضية فلسطين واقامة سلم حقيقى فى الشرق الاوسط .

موسى ناصر مع ابنه حنا وحفيده موسى

محتويات العدد

الصفحة

هـذا العدد		١
كلمـــة الكليـة		٢
لمحـــة عن حياة الفقيد		٣
من المناصب التي شغلها الفقيد		٦

في رثاء الفقيد

كلمـــة رثـاء	سيادة المطران نجيب قبعين	١٠
كوكب يهوى	القس رفيق فرح	١١
الى روح أخي موسى	وديع ترزي	١٣
في ذمـــة الله موسى ناصر	يوسف حنـا	١٤

كليـــة بير زيت تبكي فقيدها

كلمـة موظفي ومدرسي كلية بير زيت	نـافع عبد الله	١٨
دمعـــة طالبـة	رائدة ترزي	١٩
موسى ناصر الانسان	فتحية نصرو	٢٠
في ذكرى الفقيد	شكيب عنقي	٢٣

بير زيت تبكي ابنها البار

أيهـا الناس	الأب مناويل مسلم	٢٦
كلمـــة وداع	فريـد حجـج	٢٧
دمعـة على شهيد العلم	يعقوب صايج	٢٨

من أفكار ومباديء الفقيد

نحو الكمال ٣٨

الأستعداد للمستقبل ٤٢

الحريـــة والمسؤولية ٤٤

العلم والأخلاق ٥٠

تهيئة النشء لتحمل المسؤولية ٥٣

السعـادة ٦٢

حول تعليم المرأة ٦٥

رأي في الجامعة الأردنية ٧١

في الأمم المتحدة

حول قضية فلسطين ٧٤

رد على غولدا مئير ٨٤

مطبعة المشرق